روايات مصرية للجيب

العدد الخامس

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

لعنة البحر

وقصص أخرى

Looloo
www.dvd4arab.com

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

د. نبيل فاروق

(قصة قصيرة)

القانون

انفطر قلبها فى أسى ولوعة ، وخيل إليها أنه ينتزع من بين أضلاعها ، مع انتزاع الطبيب لتذكرته الطبية فى ذلك الدفتر الأنيق ، الذى يحمل اسمه فى كل صفحاته ، ومناولتها إياها ، وهو يقول فى لهجة رجل عملى ، لم يعد لديه وقت للعواطف أو المشاعر :

ـ من الضرورى أن تبتاعى هذا الدواء اليوم ، وإلا فسيحيا ابنك بعاهة مستديمة مدى الحياة .

القت نظرة بلا معنى على التذكرة الطبية ، وهى تغمغم :

ـ هل يتكلف الدواء كثيرا ؟

****

- مع بدء العـد التنـازلى ، نحو القـرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب ..
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيـل ٢٠٠٠ ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- إلى الحضـارة ..
- إنها ثقافة الغد .. لشباب اليـوم

كوكتيل ٢٠٠٠

****

اجابها فى ضجر :

— سلى الصيدلانى .

ثم هتف ينادى مساعده :

— المريض التالى يا عبده .

خفضت وجهها فى استسلام وانكسار ، وحملت ابنها الهزيل ، ذا الأعوام الستة ، وغادرت باب العيادة الفاخر ، وقلبها نهبة للحزن والحيرة ..

إن الذى تحمله هو ابنها الوحيد ، لم تنجب سواه فى عمرها ، ولا امل لديها فى ان تفعل ، فلقد استأصل الأطباء رحمها مع مولد هذا الابن ، بسبب خطإ طبيب ناشىء ، حاول استاذه تدريبه على اسلوب جديد للتوليد ، فكان من نصيبها ان يثقب الطبيب الناشىء رحمها ، ثم ينقذها استاذه من الموت باستئصال وعاء الإنجاب الوحيد فى جسد اية امراة ..

وبعدها لقى زوجها ، العامل الأجرى الصغير مصرعه ، عندما سقط من الطابق الرابع فى منزل تحت الإنشاء ، كان يعمل فيه عامل بناء ..

ومنذ ذلك الحين وهى تكافح لتحيا ..

ولكن نوائب الدهر لم ترفع يدها عنها بعد ..

ها هو ذا ابنها الوحيد يصاب بمرض عضال ، يهدده بعاهة مستديمة ، وها هى ذى تقف عاجزة عن إنقاذه ..

وتوقفت مترددة امام صيدلية كبيرة ، ثم دفعت قدميها دفعا لتخطو داخلها ، وامتدت يدها إلى الصيدلانى بالتذكرة الطبية ، وهى ترتجف فى توتر ، فالتقطها منها الصيدلانى

البدين ، وقلب شفتيه امتعاضا وازدراء ، وهو يتأمل مظهرها الرث ، ثم اعادها إليها قائلا فى برود :

— هذا الدواء يتكلف اربعين جنيها ..

ارتجف كل عرق فى جسدها ، عند سماع المبلغ ..

اربعون جنيها ؟!..

إنها لم تربح فى عمرها كله مثل هذا المبلغ ..

ولكن ماذا تفعل ؟..

اتترك وحيدها يواجه مصيره المظلم ؛ لأنها لا تملك مالا ؟..

إنها حتى لا تملك حسنا ، لتراودها فكرة الاتجار بنفسها لشراء الدواء ..

لا تملك حتى القوة للمزيد من العمل ..

وفى صوت خافت منكر ، غمغمت :

— الا يمكنك ان ..

ولكنه لم ينتظر ليستمع إليها ..

لقد فارقها ضجرا ، ليلبى طلب تلك السيدة المكتظة ، التى تطلب شراء دواء لإنقاص وزنها ، يبلغ ثمنه ضعفى ثمن الدواء ، الذى يحتاج إليه الابن المسكين ..

وغادرت الصيدلة كطير ذبيح ، وارتكنت إلى بابها تبكى فى مرارة ، وهى تحمل ابنها على كتفها ، والتذكرة الطبية فى يدها ..

وفجأة ، دس احدهم فى يدها ورقة مالية ، جفت دموعها وهى تتطلع إليها فى دهشة ، وارتجف قلبها وهى تتصور ما حدث ..

لقد ظن الرجل انها تتسول ، فمنحها ذلك الجنيه ..
تتسول ؟!.. يا له من عار !..
إنها لم تكن لتفعل هذا ابدا ..
ولكن ..
ماذا تفعل سواه ؟!..
عادت تستعرض موقفها كله ثم ضمت ابنها إلى صدرها في إشفاق ولوعة ، وراحت أعماقها تصارعها ..
ولم لا تتسول ؟! ..
ولم لا تقبل الأقدام ايضا من اجل وحيدها ؟!..
وفي حياء تمتمت :
— حسنة لله ..
خيل إليها أن احدا لم يسمع صوتها ، فرفعت عقيرتها قليلا :
— اريد شراء دواء لذلك الطفل اليتيم .
تطلع إليها بعض المارة في إشفاق ، وابتسم آخرون في سخرية وخبث ، واقترب كهل منها ، ودس في يدها ورقة مالية كبيرة و ...
وفجأة ، هوت على كتفها يد قوية غليظة ، وارتفع من خلفها صوت صارم يقول في قسوة :
— ماذا تفعلين يا امراة ؟
انكمشت في رعب ، والتفتت إليه بعينين هلعتين وجسم مرتجف ، وارعبتها تلك الصرامة البادية في ملامحه ، وهو يستطرد :
— الا تعلمين أن التسول يخالف القانون ؟!..

ارادت ان تشرح له موقفها ، وان تريه التذكرة الطبية ، إلا ان الرعب والرهبة الجماها ، فبقيت صامتة مستسلمة ، في حين قال احد المارة في إشفاق :
— دعها ترتزق يا (شاويش) .
واضافت سيدة :
— ربما كان ابنها مريضا حقا .
صاح (الشاويش) في صرامة لا تقبل الجدل :
— وليكن .. القانون هو القانون .
وتأوه ابنها الما ، وزادت هي في ضمه إلى صدرها ، ولم تنطق بحرف واحد ، وقد سالت دموع اليأس والمرارة على وجهها ، وهي تسير امام الشرطي إلى قسم الشرطة في استسلام تام ..
الآن فقط ادركت ماهية القانون ..
قانون الأقوياء ..

(قصة قصيرة)

القـــوة

هبت العاصفة فى المنزل ..

لقد ثار رب الأسرة ، (إبراهيم زكريا) على زوجته واولاده ، عندما استيقظ فى الصباح ، ولم يجد خفه المنزلى إلى جـــوار فراشه كالمعتاد ..

وراحت زوجته تهدىء من روعه ، وتلتمس شتى الأسباب والمعاذير ، لتبرر له عدم وجود خفيه ، متعللة بان ابنه الاكبر قد استعارهما لحظات ، ليذهب إلى دورة المياه ، ثم يعيدهما قبل استيقاظ والده ، وانه هو الذى استيقظ قبل موعده ، و...

ورماها (إبراهيم) بنظرة صارمة قاسية ، جمدت الدماء فى

عروقها ، وحبست الكلمات فى حلقهـــا ، فانكمشت ترتعد ، وتركته يفرغ ثورته فى وجوه ابنائه .

ولزم الجميع الصمت فى هيبة وخوف ، حتى افرغ (إبراهيم) ثورته ، ثم صاح فى وجه زوجته :

ــ الشـــاى .. اريد قدح الشاى .. لقد اقتـــرب موعد ذهابى إلى العمل .

اسرعت زوجته تعد له قدح الشاى ، فارتشفه فى سرعة ، وهى تقف إلى جواره مرتعدة مستسلمة ، وترددت طويلا ، قبل ان تغمغم :

ــ (وفاء) تريد حذاء جديدا .

رماها بنفس النظرة القاسية الصارمة ، وهو يقول :

ــ ولمـــاذا لم تطلبه بنفسها ؟

اجابته فى خنوت :

ــ خشيت أن تثور فى وجهها .

مط شفتيه متظاهرا بالامتعاض ، إلا انه ، فى حقيقة الأمر ، كان يشعر بسعادة ونشوة عارمتين فى اعماقه ..

هكذا القوة ..

هكذا تكون إدارة المنزل ..

ان يخشاه الجميع ويرهبونه ..

إنه يحب هذا الشعور ..

شعور القوة ..

وفى غطرسة ، لوح بكفه ، قائلا :

ــ فلتبتع الحذاء .. سأترك لها ثمنه .

غادر مائدة الإفطار وزوجته خلفه ، تدعو له بالتوفيق فى عمله ، وهو يسير منتفخ الأوداج ، حتى باب المنزل ، ولم يكد يغلقه خلفه ، حتى تنفس أبنـاؤه الصـعداء فى ارتيـاح ، وأسرعت (وفاء) تلتقط الأوراق المالية ، التى تركهـا خلفه لهـا ..

أما هو ، فقد ذهب إلى عمله على الفور ، وخلع حاته ، وعلقهـا على مشجبها القديم فى عناية ، وارتدى حلة العمل ، فى نفس اللحظة التى تعالى فيها صوت غاضب يهتف :

ـ أين الحمـار (إبراهيم) ؟..

لمـاذا لم يصل حتى الآن ؟

أسرع يحمل صينيـة الشـاى ، وهو يقول :

ـ أنا هنا يا سعادة البك .

قدم الشاى إلى رئيسه فى مكتبه ، والرئيس يهتف ساخطا :

ـ يا لك من غبى !.. انت اسـخف فراش عمل هنـا يا (إبراهيم) .. انت حمار .

ابتسم (إبراهيم) ، وضحك قائلا :

ـ حمار شغل يا سعادة البك .

ومع بداية عمله كان قد نسى كل شىء عن المنزل .. وعن القوة ..

اختبر معلوماتك

عزيزى القارىء ..

ما الثقافة ؟!.. البعض يظن أن الثقافة هى معرفة الوسط المحيط به فحسب ، أو هى الإلمـام ببعض المعارف الضرورية لحياته وعمله ، ولكن هذا الظن خاطىء للأسف ، فالثقافة هى المعرفة الشمولية ، التى تختلف عن المعرفة الخاصة ، لعملك ومجالاته .. ومن الضرورى أن يكون الإنسان المتحضر مثقفا ، وأن يسعى للمعرفة بكل الطـرق والوسائل ، وإلا وجدنـا الطبيب لا يجيد أو يعـرف شيئا سـوى الطب ، والمهندس لا يجيد حديثا سوى عن الهندسة ، والمحاسب يعامل الدنيـا كلها بالأرقام ..

وقد تبدو لك معلومة ما أنها غير مفيدة ، أو أنها هامشية فى خضم الحياة ، ولكن هذا لا يعنى أبدا أن تهملهـا ، بل أن

تستزيد منهـا ؛ لأن السؤال الذى سيواجهك دوما ، فى كل المجتمعات ، وفى كل المجالات هو : هل انت مثقف ؟..

إننا هنا سنختبر هذا ، وسنطالبك بالإجـابة عن عشرين سؤالا ، وبعدها اجب عن السـؤال السـابق .. هل انت مثقف ؟

---

١ ــ انهزم القائد الفرنسى الشهير (نابليون بونابرت) فى معركة تعرف باسم :

☐ الطرف الاغر . ☐ ستالينجراد .
☐ ووترلو .

٢ ــ (جان فالجان) ، شخصـية روائية ، ورد ذكرها فى رواية :

☐ البؤساء . ☐ دافيد كوبر فيلد .
☐ الأمير والفقير .

٣ ــ تبلغ سرعة الإنسان العادى فى المشى :

☐ كيلومتر / ساعة .
☐ ستة كيلومترات / ساعة .
☐ كيلومترين / ساعة .

٤ ــ الإليكترون فى الذرة ، يحمل شحنة :

☐ موجبة . ☐ سالبة . ☐ متعادلة .

٥ ــ أول رائد فضاء وضع قدمه على القمر هو :

☐ يورى جاجارين . ☐ أدوين الدرين .
☐ نيل ارمسترونج .

٦ ــ أنثى العقرب تضع صغارها عن طريق .

☐ الولادة . ☐ البيض .

٧ ــ الأديب (إدجار رايس باروز) ابتكر شخصية شهيرة ، تعرف باسم :

☐ زورو . ☐ سوبرمان . ☐ طرزان .

٨ ــ (بنك القلق) ، مسرحية من تأليف الكاتب المصرى :

☐ يوسف إدريس . ☐ توفيق الحكيم .
☐ أنيس منصور .

٩ ــ إله الخصب والإنماء ، عند قدماء المصريين هو :

☐ ست . ☐ حورس . ☐ أوزيريس .

١٠ــ أعلن النازيون ، إبان الحـرب العالمية الثانية ، أنهم فور دخولهم إلى (مصر) سيقومون بإعـدام الكاتب المصرى المعروف .

☐ العقاد . ☐ طه حسين . ☐ المازنى .

١١ــ مخترع المصباح الكهربى هو :

☐ لويس باستير . ☐ توماس اديسون .
☐ إدوارد سابين .

١٢ ــ بدأت الحملة الفرنسية على (مصر) عام :

☐ ١٨٩٠ م ☐ ١٧٠١ م ☐ ١٧٩٨ م .

١٣ ــ « لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة » ، عبارة قالها الزعيم المصرى .

☐ مصطفى كامل . ☐ سعد زغلول .
☐ جمال عبد الناصر .

١٤ــ جنسية (ادولف هتلر) الأصلية هى :

□ المــانى . □ نمساوى . □ بولندى .

١٥ــ من اشهر كتاب الخيال العلمى فى التاريخ .

□ البير كامى . □ هيمنجواى .

□ جولى ڤيرن .

١٦ــ (قاهر الزمن) ، رواية علمية فازت بجائزة خاصة ، للأديب المصرى :

□ صبرى موسى . □ نهاد شريف .

□ رءوف وصفى .

١٧ــ (سيدان من ڤيرونا) مسرحية للأديب العالمى :

□ شكسبير . □ برنادو شو .

□ ديرنمات .

١٨ــ مخترع الهاتف هو :

□ ستيفنسن . □ جراهام بل .

□ مرسيدس .

١٩ــ الإله الذى صنعه قدماء المصريين على هيئة حية هو :

□ باسنت . □ إيزيس . □ ارايوس .

٢٠ ــ اشهر متنبىء عرفه التاريخ هو :

□ نوستراداموس . □ هواركس مندوز .

□ مارابيليان .

والآن ابحث عن الأجوبة وراجعها فى ص (١٩٠) واجب عن سؤالنا التقليدى و ...

واحتفظ بجوابه سرا ..

أرزاق

رواية اجتماعية طويلة

من قلب الليل يأتى النهار ..
ومن قلب الظلم تأتى الرحمة ..
ومن المحال أن نأمل دوام الحال ..

ملخص ما سبق نشره

بدأ الحاج (البنهاوى) حياته ، فى قرية من قرى الغربية ، فقيرًا معدمًا ، ثم لم يلبث أن أصبح يمتلك ألف فدان كاملة ، بكفاح عمره كله ، وأنجب خلال رحلة كفاحه خمس بنات وثلاث أولاد ، وراح يبذل أقصى جهده ، لتأمين القوة والمستقبل لهم ، وبلغت سعادته ذروتها ، عندما التحق (حسين) ، ابنه الأكبر بالكلية الحربية ، ولكن (حسين) راح يطمح إلى مزيد من القوة ، فطلب والده بالسعى لنيل لقب (باشا) ، مقابل مائتى فدان ، وسبعين ألفًا من الجنيهات ، على الرغم من رفض (مفيد) ، الابن الأصغر ، للفكرة ، وفجأة تم إلقاء القبض على (حسين) ووالده ، بتهمة لفّقها العمدة والمأمور ، ولكن التهمة لم تلبث أن تحوّلت إلى نصر ، عند قيام الثورة ، فى يوليو ، عام ألف وتسعمائة واثنتين وخمسين ، وعندئذ تحوّلت حياة الأسرة تمامًا ، عندما اعتبرت القرية كلها أن (حسين) واحد من أبطال الثورة ، وألغت الثورة الألقاب ، فشعر (البنهاوى) بالأسى ، لما فقده من أرض جمعها بكدّه وعرقه دون طائل ، وقرّر الإسراع باتمام زواج ابنته (توحيده) ، وأثناء الإعداد للزفاف ، وصلت برقية تدعو (حسين) لمقابلة (رفعت كسّاب) ، أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، الذى أصدر قرارًا بمنحه شهادة تخرّج من الكلية الحربية ، وترقيته إلى رتبة ملازم أوّل دفعة واحدة ، ثم صارحه برغبته فى ضمه إلى جهاز خاص ، تعمل الثورة على إنشائه ، وفوجئ (حسين) بأن مدرّبه على العمل فى هذا الجهاز هو (إبراهيم مكّى) ضابط البوليس السياسى القديم ، وقرّر إزاحته عن طريقه ، ولكن الأمور تتطوّر فى سرعة ، فيثور (البنهاوى) على ولده ، عندما يرفض (حسين) زواج (زينب) شقيقته من (ماهر) الذى وافق عليه والده ، وفى ذروة ثورة (البنهاوى) ، يصله خبر إصدار قانون الإصلاح الزراعى ، ومصادرة أرضه ، فيسقط الأب صريعًا ..

١٨ ـ الميـراث ..

كانت جنازة (البنهاوى) مهيبة بحق ، وهى تعبر شوارع القرية فى صمت تام ، خلا حتى من صراخ النساء التقليدى ، فى القرى المصرية ، وهن يشيعن موتاهن ، وكأنما أضفى وقار الراحل وهيبته نمطا خاصا على تشييع جنازته ، أو أن ذلك الإطار الذى احيطت به الجنازة قد حبس الصرخات فى حلوق النساء ، فلم تخرج القرية كلها لتشييع الرجل إلى مثواه الأخير ، مدفوعة بحبه واحترامه فحسب ، وإنما انضم إلى الصورة حشد من رجال الجيش ، تلتمع رتبهم الرسمية على اكتافهم ، ويتقدمهم عدد من الضباط الأحرار ، الذين هم محور حياة (مصر) كلها ، فى ذلك الوقت ..

ومضت الجنازة صامتة ، حتى تم إيداع (البنهاوى) مثواه الأخير ، فى تراب القرية التى شهدت كفاحه ونموه ، ثم بدأ ابناؤه يتقبلون العزاء ، وصافح (رفعت كساب) (حسين) فى حرارة ، وهو يقول :

ـ البقاء لله .. لا تستسلم للأحزان .

أجابه (حسين) فى لهجة عسكرية ، بدت عجيبة فى إطار الموقف :

ـ لن افعل يا سيدى .

التفت (رفعت) يصافح (مفيد) ، قائلا وهو يشد على يده فى قوة :

— القول نفسه ينطبق عليك .

غمغم (مفيد) ، وهو يجتر الكلمات من حزنه اجترارا :

— سأحاول .

ربت (رفعت) على كتفه ، ثم التفت إلى (حسين) ، وقال وكأنما نسى جلال الموقف :

— متى ستأتى إلى مكتبى ؟

اجابه (حسين) فى سرعة :

— وقتما تشاء يا سيدى .

لوح (رفعت) بكفه ، قائلا :

— خذ اسبوعا كاملا ، ولكن حاول ان تتخلص من الأحزان فى سرعة .

اجابه بنفس اللهجة العسكرية :

— سأحاول ياسيدى .

شعر (مفيد) بغصة فى حلقه ، وباشمئزاز ، عنيف فى اعماقه ..

كيف يمكنهما ان يتحدثا هكذا ، فى موقف له كل هذا الجلال ؟!..

ألم يعد لمشاعرهما مجال او مكان ؟ ..

أصارت السلطة فى الحياة ملهية لهم عن الموت ؟..

تمنى لحظتها لو انفجر فى وجه شقيقه ، واتهمه بالعقوق والنكران ، إلا انه راح يقاوم رغبته هذه فى شدة ، وهو يفكر فى شقيقهما (حافظ) ، الذى لم تحتمل اعصابه الصدمة ، فانهار تماما ..

هكذا هو (حافظ) دوما ..

أضعف من أن يحتمل اية صدمة ..

ترى ماذا سيفعل المسكين ، بعد أن فقد والده ، الوحيد الذى كان ينقذه من بطش (حسين) به ؟..

يا للبائس المسكين ؟!..

افاق (مفيد) من افكاره على وجه اثار دهشته ..

وجه شاب وسيم ، برز من بين الصفوف فجأة ، واتجه إليه ، ومد يده يصافحه ، وهو يقول فى هدوء يحمل نبرة قوة واضحة :

— البقاء الله .

صافحه (مفيد) فى حيرة ، وهو يتساءل : اين راى هذا الوجه من قبل ؟

ثم فجأة تذكر ..

وادهشته الذكرى ..

إنه ضابط البوليس السياسى ، الذى القى القبض على والده ، وعلى (حسين) ، منذ شهور ..

إنه الصاغ (إبراهيم مكى) نفسه ..

وفى دهشة بالغة ، حدق (مفيد) فى وجه (إبراهيم) ، الذى استدار إلى (حسين) ، ومد يده يصافحه فى هدوء ، مكررا عبارته نفسها ..

وأدرك (مفيد) على الفور ان علاقة ما قد نشأت بين (حسين) و (إبراهيم) ..

لم يدر طبيعة تلك العلاقة بالضبط ، ولكنهما تصافحا على نحو يؤكد اعتياد كل منهما على الآخر ، وتبادلا نظرة غامضة عجيبة ، توحى بأن كلا منهما يحمل فى قلبه كراهية لا حد لها ، تجاه الآخر ..

ولكن الموقف لم يكن يحتمل التفكير فى هـذه النقطـة أو بحثها ؛ لذا فقد انشغل (مفيد) و (حسين) فى تقبل العزاء ، حتى انفض الموقف ، فعادا إلى السراى ، وقد بدا الحزن يتخذ مسارا جديدا فى نفسيهما ، بعد جرعة المشـاعر المفرطة ، التى حقنهما بها الموقف ، منذ الوفاة ..

وفى السراى لم تكن النيران قد خمدت بعد ..

كانت بنات (البنهاوى) يذرفن الدمع فى غزارة ، ويبكين وينتحبن فى مرارة وحزن لا حد لهما ..

وحدها (زينب) بدت متماسكة إلى حد كبير ، على الرغم من التماعة دمع تملأ عينيها ، فاتجه إليها (مفيد) ، وسألها :

ـ اين (حافظ) ؟

اجابته والمرارة تتقاطر من صوتها :

ـ يجلس وحده فى الشرفة الخلفية .

سألها فى قلق :

ـ هل يبكى ؟

هزت راسها نفيا ، وهى تقول :

ـ مطلقا .

ثم اضافت فى حيرة :

ـ وهذا ما يقلقنى فى الواقع .

تنهد (مفيد) وقال :

ـ سأذهب إليه .

اتجه إلى حيث يجلس (حافظ) ، الذى بدا صامتا جامدا ، كتمثال من حجر ، وعيناه تشردان بعيدا فى الفراغ ، وقد بدتا اقرب إلى عينى جثـة هامدة ، فجلس (مفيد) إلى جواره صامتا بعض الوقت ، ثم ربت على كفه ، مغمغما :

ـ لا تستسلم لأحزانك هكذا .

لم يبد أن (حافظ) قد سمعه ..

لم يبد حتى انه قد شعر بوجوده ..

لقد ظل صامتا ، جامدا ، يحدق فى الفراغ ، فتابع (مفيد) :

ـ إنه والدنا كلنا ، و ...

لم يتم عبارته ، بل لم يشعر حتى بالرغبة او الحاجة إلى ذلك ..

إنه يعلم جيدا ان احتمال (حافظ) للصدمة بالغ الضعف ، وانه سيمضى وقت طويل حتى يمكنه استيعاب ذلك التغير ، الذى طرأ على الأسرة ..

وعلى فقدان ابيه ، وسنده ، ودرعه ..

وتنهد (مفيد) مرة اخرى ، وربت على كتف شقيقه ، ثم نهض يغادر الشرفة ، إلا ان همسـة تحمل اسـمه جعلته ينتفض ، وجعلت قلبـه يـدق فى عنف ، وهـو يلتفت إلى مصدرها ، هاتفا بكل الوجد فى اعماقه :

ـ (مديحة) ؟!.

كانت تختفى بجسدها الضئيل وسط أشجار المانجو والبرتقال ، فى حديقة المنزل الخلفية ، ووجهها الرقيق يحمل خليطا من القلق واللهفة والحنان ، وهى تلوح لـ (مفيد) بكفها الصغير ، وهم (مفيد) بالاندفاع نحوها ، ولكنها لوحت له ، قائلة :

ـ ليس الآن .

ثم اضافت فى حنان وتعاطف :

ـ البقية فى حياتك .. لقد أتيت لتعزيتك .

هتف بها فى خفوت :

ـ اريد ان اراك .

ترددت لحظة ، ثم اجابته :

ـ الليلة ، فى نفس الموعد والمكان .

غمغم :

ـ فليكن .

اسرعت تنصرف مبتعدة ، وتابعها هو ببصره ، وقلبه يخفق خلفها ، وعاوده كل شوقه وحنينه إليها ، ثم لم يلبث ان شعر بغتة بتأنيب الضمير ؛ لأنه يفكر فى هذا ، ولم يمض سوى يوم واحد على وفاة أبيه ، فتمتم فى توتر :

ـ يا لها من حياة !

والقى نظرة اخرى على (حافظ) الجامد ، ثم اتجه إلى حجرة استقبال الضيوف ، ووقع بصره فيها على (حسين) والحاج (سعفان) ، و (ماهر) ووالده الحاج (سليمان) ،

وزوجى شقيقتيه (نعيمة) و (توحيدة) ، ولم يكد الحاج (سعفان) يلمحه ، حتى نهض يصافحه ، قائلا :

ـ رحم الله والدك يا ولدى .. كان خير الرجال .

شكره (مفيد) بتمتمة مبهمة ، واتخذ مكانه وسط المجلس، وساد الصمت لحظات ، قبل ان يتنحنح (عمر) ، زوج (نعيمة) ، ويقول بصوت مرتفع :

ـ البقاء لله ..

همهم الجالسون بعبارات مبهمة ، يصعب تمييزها ، وعاد الصمت يغلف المجلس مرة اخرى ، قبل ان يقول (عمر) :

ـ أظن الأمر سيحتاج بعض الوقت ، لإتمام الإجراءات .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وساله (حسين) فى شىء من الحدة :

ـ اية إجراءات ؟

رسم (عمر) على شفتيه ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

ـ إجراءات الميراث .

بدا الجواب اشبه برنين حاد ، انطلق بغتة فى حجرة صامتة ، فساد صمت تام بعده ، والجميع يحدقون فى وجه (عمر) ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، قبل أن يهتف (عبد الحكيم) ، زوج (توحيدة) :

ـ أهذا وقت الحديث عن الميراث يا رجل ؟

قال (عمر) فى حدة :

ـ وماذا يمنع ؟

هتف (عبد الحكيم) غاضبا :

ـ الرجل لم يبرد فى قبره بعد .

قال (عمر) فى تبجح :

ـ الحق لا يعرف موعدا .

كاد (عبد الحكيم) ينفجر فى وجهه مـرة اخرى ، لولا أن قال (حسين) فى صرامة :

ـ اى حق يا رجل ؟

التفت إليه (عمر) ، وقال :

ـ حق الجميع .. السنا كلنا شركاء فى هذا الميراث ؟..

لقد تركت لكم الحـكومة مائتى فـدان ، وسيبلغ نصيب زوجتى منها ما يقل قليلا عن عشرين فدانا و ..

بدا الغضب على وجه (حسين) ، وهب من مقعده بحركة حادة ، فهتف (عمر) ، وهو يتراجع حاميا وجهه بذراعه :

ـ إننى أطالب بحق زوجتى فحسب .

صاح (حسين) غاضبا :

ـ انت احقر مخلوق رأيته فى حياتى .

هتف (عمر) :

ـ إنه حق .

تنحنح الحاج (سعفان) ، وقال مترددا :

ـ ليس لك الحق فى قيراط واحد يا (عمر) .

التفت إليه (عمر) ، صارخا :

ـ هل تجامله يا حـاج (سـعفان) ؟.. الشرع لا يقبل المجاملة .. ستصادر منهم الحكومة ثمانمائة فدان ، وستترك مائتين ، وستوزع الأفدنة الباقية على الجميع ، وبحسـبة

بسيطة ستجد أن نصيب زوجتى هو واحد من احـد عشر نصيبا ، و ...

قاطعه الحاج (سعفان) فى صرامة :

ـ قلت لك إنك لن تحصل على قيراط واحد .

صاح (عمر) ، وقد افزعه مجرد تصـور عدم حصوله على شىء :

ـ ماذا تعنى يا حاج (سعفان) ؟

أما (مفيد) فقد شعر بالقلق ، وهو يغمغم :

ـ ماذا تقول يا حاج (سعفان) ؟

أطلق الحاج (سعفان) من صدره زفرة قوية ، وقال :

ـ أنتم تعلمون جميعا أن الحاج (البنهاوى) كان يحلم دوما بأن يمتد اسمه إلى عشرات الأجيال ، و ...

قاطعه (حسين) فى توتر صارم :

ـ لا داعى للمقدمات الطويلة ، ادخل فى الموضوع مباشرة .

تنحنح الحاج (سعفان) ، وبدا الحرج على وجهه ، وهو يقول :

ـ الواقع أن الحاج (البنهاوى) (رحمه الله) ، لم يترك ميراثه للتقسيم الشرعى .

ثم أشاح بوجهه ، وكأنما يتجنب مواجهة الموقف ، قبل أن يستطرد :

ـ لقد كتب أرضه كلها لـ (حسين) .. (حسين) فقط .

* * *

١٩ ــ الظــلم ..

حدق الجميع فى وجه الحاج (سعفان) فى ذهول ، وكان اكثرهم ذهولا هو (حسين) نفسه ، الذى كان ايضا اول من تحدث ، مغمغما :

ــ لى انا ؟!

اوما الحــاج (سعفان) براسه إيجابا ، وقال متحاشيا النظر فى وجوه الجميع :

ــ لقد كان (رحمه الله) يخشى أن تتفتــت الأرض من بعده ، وأن يسىء كل منــكم التصرف فى نصيبه منها ؛ لذا فقد واتته تلك الفكرة ، ولقد حاولت أنا إثنــاءه عنهــا ، وإقنــــاعه بترك الشريعــة لمجراها ، ولكنــه أصر على أن يكتب ارضــه كلها باســم (حسين) ، بعقود بيع صحيحة ، سدد عنها الرسوم المطلوبة كاملة ، على ان يتولى (حسين) مهمة الإنفاق على الجميع ، ومنحهم انصبتهم الشرعية من إيراد الأرض سنويا .

هتف (عمر) محنقا :

ــ ولكن هذا ظلم .. ظلم بين .

صرخ (حسين) فى وجهه :

ــ تحشم يا رجل .. إنها إرادة ابى .

صاح (عمر) محتجا :

ــ إرادته تتجاوز شرع الله ؟

صرخ (حسين) بكل صرامته :

ــ اخرس .. لا تنطق بكلمة واحدة ضد أبى ، وإلا القيت بك فى السجن .

انكمش (عمر) فى مقعده ، وهو يعلم أن منصــب (حسين) الجديد يمنحــه القــدرة على تحويل تهديده إلى حقيقــة ، خاصة وان طبيعة (حسين) لا تجعله يتورع عن ذلك ، وران صمت قصير على المكان ، والجميع يتطلعون فى وجوه بعضهم البعض فى حيرة ودهشة ، قبل ان يشق صوت (مفيد) حاجز الصمت ، وهو يقول :

ــ إنه حقا ظلم .

التفت إليه (حسين) فى حركة حادة عنيفة ، وبوجه يحمل كل الغضب والاستنكار ، فرفع (مفيد) صــوته ، مكررا فى حزم :

ــ إنه حقا ظلم .. ليس من حق مخلوق فى الكون كله ان يخالف قانون الخالق .

هتف (حسين) فى غضب :

ــ اصمت .

ولكن (مفيد) تابع متجاهلا الأمر :

ــ لقد حــدد الخالق (عز وجل) كل قواعد الإرث ، ولن

نبلغ حكمته سبحانه ابدا ، مهما بلغنا من الشـــأن والقـــوة والحكمة ، والواجب هو ان نطيعه دون نقاش ، ودون تحوير لاوامره .

هتف به (حسين) مرة اخرى :

ــ قلت لك اصمت .

قال (مفيد) فى صرامه :

ــ لا .. لن اصـــمت عن الحق .. الســـاكت عن الحق شيطان اخرس .. إن ما حدث ظلم .. ظلم .. ظلم .

صاح (حسين) فى غضب :

ــ هكـــذا ؟! .. وماذا لو ان ابى قـــد منحك انت الارض كلها ؟.. اكنت ستجد الأمر ظلما ايضا ؟

لوح (مفيد) بكفه فى مرارة ، واستدار متجها إلى الخارج ، فصرخ به (حسين) فى ثورة :

ــ إلى اين ؟.. إننى لم اتم حديثى بعد .

اجابه (مفيد) فى غضب :

ــ سانصرف يا (حسين) .. سانصرف قبل ان اختنق .

ثم التفت إليه ، مستطردا فى حنق :

ــ وحتى لا نوصم دوما باننا ، فى ليلة دفن والدنا ، قد رحنا نتشاجر من اجل الميراث .

واندفع يغادر المكان فى حدة واضحة ، فهتف (حسين) فى غيظ :

ــ غبى !

نهض (ماهر) ووالده ، وقال الاول فى حياء :

ــ اظن انه قد حان وقت الانصراف .. البقية فى حياتك انت يا (حسين) بك .

غمغم (حسين) فى اقتضاب :

ــ شكرا .

صحبهما الحاج (سعفان) فى انصرافهما ، دون ان يتبادل كلمة واحدة مع (حسين) ، سوى ان غمغم وهو يصافحه :

ــ كل الأوراق ستجدها فى دولاب والدك .

صافحه (حسين) فى صمت ، وودعه حتى بوابة السراى ، ثم عاد إلى حجرة استقبال الضـــيوف ، وتطـــلع إلى زوجى شقيقتيه فى تحد سافر ، وهو يقول :

ــ ما رايكما فيما سمعتماه ؟

عقد (عمر) حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ــ سنقول راينا فى المحكمة .

وهب مغادرا المكان فى غضب ، وهو يهتف باسم زوجته ، التى لحقت به فى سرعة ، وتبعته فى انكسار وحزن ، وبطنها الممتلئة بجنينها الأول تترجرج امامها ، فى حين سأل (حسين) (عبد الحكيم) فى صرامة :

ــ ما رايك انت ؟

تبـــادل معه (عبد الحكيم) نظرة متحدية ، قبل ان ينهض قائلا :

ــ لم نكن ابدا فى حاجة إلى اموال والدك .

ولم يلبث ان انصرف مع زوجته فى صمت ...

وبقى (حسين) وحده ..

والعجيب انه ، على الرغم من حزنه لوفاة والده ، قد شعر فى تلك الليلة بنشوة عجيبة ..

نشوة القوة ...

* * *

كان (مفيد) يحتاج حقا إلى لقاء (مديحة) هذا المساء ..

إنه لم يرها منذ زمن طويل ..

منذ كشف والدها الحاج (اسماعيل) طبيعة العلاقة بينهما ..

وهو يشعر بشوق هائل إليها ..

ثم إنه يحتاج إلى من يستمع إلى احزانه ولوعته ، وإلى من ينتشله من ذلك الشعور العام بالاختناق ، الذى أورثته إياه وصية والده ..

كان يشعر ان هذا ظلم مجحف ..

ظلم بين ..

لماذا فعل والده هذا ؟..

لماذا خالف مشيئة الخالق (عز وجل) ، ومنح (حسين) وحده الثروة كلها ؟..

لم يكن حزن (مفيد) من اجل الثروة ، ولا من أجل فوز (حسين) بالغنيمة كلها ، ولا حتى من اجل فقدان الأرض ، التى يعشقها ..

وإنما كان من اجل الظلم ..

لم يكن يحتمل ابدا مبدا الظلم ..

ابدا ..

انتزعه من افكاره صوت (مديحة) ، وهى تهمس :

ـ (مفيد) .

التفت إليها بكل جوانحه وجوارحه ..

.. بكل شوقه وحبه ..

بكل لهفته ولوعته ..

ولم تكد تلقى كفيها الرقيقتين فى راحتيه ، وقلبها يرتجف

حبا وشوقا ، حتى كاد يضمها إلى صدره ، ويفرغ على شفتيها لواذع قلبه ، لولا ان اخلاقه وشهامته قد منعاه من تدنيسها بفعل حرمه الله (سبحانه وتعالى) إلا على الأزواج ، فهتف فى همس يحمل كل الحب :

ـ اوحشتنى .

تضرج وجهها بحمرة الخجل ، مغمغمة :

ـ وانت .

جلسا متجاورين فوق العشب الطرى ، عند جذع الشجرة الكبيرة ، وتشبثت أصابع كل منهما بكف الآخر ، وهما يلتهمان وجهى بعضهما البعض ، بنظرات ملؤها اللهفة والشوق والحب ، حتى همست (مديحة) :

ـ البقية فى حياتك .

غمغم :

ـ اشكرك .

ثم سألها فى خفوت :

ـ هل يعلم والدك انك هنا ؟

تمتمت وهى تملأ عينيها بوسامته :

ـ إنه يتظاهر بانه لا يعلم ، ولكننى واثقة من معرفته بلقائنا ، ويبدو انه يعلم كم تعانى ، ولم يشأ منعى من التخفيف عنك .

تنهد مغمغما :

ـ والدك رجل رائع يا (مديحة) .

تنازعته عوامل شتى ، ما بين لهفته للقياها ، وذلك الوعد الذى قطعه بأن تكون علاقتهما واضحة نظيفة ، ثم لم تلبث اخلاق الفارس فى اعماقه ان انتصرت ، فنهض قائلا فى حزم :

ـ (مديحة) .. صحيح أننى اتلهف شوقا لقضاء حياتى كلها معك ، ولكن لابد لك من العودة إلى منزلك .

سألته فى دهشة وخوف :

ـ لماذا ؟.. ماذا حدث ؟

امسك كتفيها بكفيه ، وتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ اسمعى يا (مديحة) .. لقد كنت اذوب طلبا للقائنا معا ، وكان لدى الكثير لألقيه على مسامعك ، إلا اننى قد قطعت وعدا بعدم لقائك سرا مرة اخرى .

سألته فى دهشة :

ـ لمن قطعت هذا الوعد ؟

اجابها فى حزم :

ـ لا عليك فى هذا .. المهم اننا لن نلتقى مرة اخرى ، إلا على نحو رسمى وشرعى تماما ، وعلينا ان نحتمل الفراق ، حتى يأتى ذلك اليوم .

ترقرقت الدموع فى عينيها ، مع حيرتها وقلقها ، فرسم على شفتيه ابتسامة ، وهو يضيف :

ـ ولن يتأخر ذلك اليوم يا (مديحة) .. لن تمض شهور قليلة ، إلا وتصيرين .

اتسعت ابتسامة ، وهو يضيف فى حنان :

ـ زوجتى ..

وانطلقت فى قلبها زغرودة فرح قوية ..

* * *

حافظت (زينب) على ثباتها وتماسكها ، حتى أوى الجميع إلى فراشهم ، ثم اندست فى فراشـــها ، وتركت لدموعهـــا العنان ..

وانسكبت دموعها تغرق وسادتها ..

لقد احبت والدها كما لم تحب فتاة والدها ..

كان لها بمثابة مثل اعلى ، وصرح تحترمه وتوقره ..

إنهـــا حتى ، فى اختيارها لـــ (ماهر) ، كانت تحب تلك الصورة فيه ، التى تذكرها بكفاح والدها فى شبابه ..

صورة الشاب المقاتل ، الذى لا يتراجع امام الصعاب ..

لهذا تحب (ماهر) ..

ولهذا تتمنى أن تتزوجه ..

فجأة امتلأت نفسها بعذاب الضمير ..

كيف تفكر فى الزواج ، ولم يستقر والدها فى قبره سوى صباح اليوم ؟..

آلمتها الفكرة ، فانهمر مزيد من الدموع من عينيها ، ودفنت وجهها فى الوسادة فى شدة ..

ولكن (ماهر) ظل يلح على افكارها ..

ودون وعى ، عادت تفكر فى أمره ..

ترى هل تحبه حقا ، أم تحب فيه صورة شـــباب والدها فحسب ؟..

بدا لهـــا أن الوسيلة الوحيدة للتيقن من هـــذا هـــو أن تتزوجه ، وبعدها سيتضح لها الأمر ..

راودتها فجأة فكرة عجيبة ، خفق لها قلبها ..

ــ هل ستتزوج (ماهر) حقا ؟..

لقد وافق والدها على إتمام هذا الزواج ، ثم رحل ، وترك كل شىء لـــ (حسين) ، فهل يوافق (حسين) على ما وافق عليه والده ؟.

لا احد يدرى ..

لقد انتهى عهد (محمد البنهاوى) ..

وبدأ عهد (حسين البنهاوى) ..

ومن المستحيل أن يتساوى العهدان ، وأن يتشابها ..

هذا هو المستحيل بعينه ..

* * *

٢٠ ــ القفــزة ..

ابتسم العمــدة ابتسامة باهتــة ، وهو ينهض لاستقبال المأمور فى ساحته ، وصافحه فى هدوء ، قائلا :

ــ صباح الخير يا (باشا) .

تلفت المأمور حوله فى جزع ، وهو يقول :

ــ صه يا رجل .. لا تخرب بيوتنا .. لقد الغوا الالقاب .

ضحك العمدة ، وهو يقول :

ــ الغوا الالقاب الفعلية يا ســعادة المــأمور ، وليس الشرفية .

عقد المأمور حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ــ ماذا تقصد ؟

ضحك العمدة مرة اخرى ، قائلا :

ــ لا شىء يا سعادة المــأمور .. لا شىء .. ما رايك فى قدح من الشاى ؟

جلس المأمور إلى جواره ، وهو يقول فى صرامة :

ــ قبل تناول الغذاء أم بعده ؟

أطلق العمدة ضحكة خبيثة ، وقال :

ــ قبله وبعده .. نحن رهن إشارتك يا سعادة المأمور .

لم تمض إلا دقائق حتى وصلت اقداح الشاى ، وارتشف المأمور رشفة من قدحه ، قبل أن يقول فى مرارة :

ــ أرايت ما آل إليــه الأمــر يا عمــدة ؟.. لقــد مات (البنهاوى) ، وترك كل شىء لابنه (حسين) ، الذى أصبح أحد أصحاب الشان فى العهد الجديد ، وخسرنــا نحن كل شىء .

ابتسم العمدة فى دهاء ، وهو يقول :

ــ خسرنا ؟!.. من قال هذا يا سعادة المأمور ، كل ما فى الأمر هو أن اللعبة قد اتخذت مســارا جديدا ، يتناسب مع متغيرات الحياة .

قال المأمور صارما :

ــ لن يمكننا محاربة (حسين البنهاوى) الآن يا عمدة .

أطلق العمدة ضحكة صفراء ، وقال :

— لماذا يا سعادة المأمور ؟.. الأنه يتمسح فى ركب رجال حركة الجيش ؟ .. لا يا باشـــا .. عيبك هو ان تلك الأمور تبهرك ، وتلغى قدرتك على حسن تقديرك للأمور ، ولكن من حسن الحظ انها لا تفعل هـــذا بى ، فـ (حسين) الآن ليس سوى تابع يخشى فقدان موقعه ، وأمثاله يدفعهم التوتر إلى الحذر الزائد ، فى نفس الوقت الذى يدفعهم فيه الإحساس بالقوة إلى إبراز مواطن سطوتهم ، وهـــذا التناقض يوقعهم عادة فى حماقات يسهل تحطيمهم بواسطتها .

سأله المأمور مبهوتا :

— اتظن هذا ؟

رفع العمدة قدح الشاى إلى شفتيه ، وهو يقول :

— بالتاكيد يا سعادة المأمور .. إن الأمور لم تختلف كثيرا كما اخبرتك .

وارتشف رشفة كبيرة من الشاى ، فى صوت مسموع ، قبل ان يضيف :

— وحربنا مع عائلة (البنهاوى) لم تحسم بعد ..

* * *

ابتسم (رفعت كساب) فى إعجاب ، عندما راى (حسين) يخطو إلى مكتبه ، بعد ثلاثة أيام فقط من وفاة والده ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، فمد يده يصافحه ، وهو يقول :

— لمـــاذا لم تتم إجازتك ؟

اجابه (حسين) :

— احب ان ادفن احزانى فى عملى يا سيدى .

أومأ (رفعت) براسه ، وقال :

— رائع .. هكذا احب الرجال .

ثم جلس ، وتراجع فى مقعده ، واستطرد فى اهتمام :

— كيف حال تدريباتك ؟

أجابه (حسين) وكأنما كان ينتظر هذا السؤال :

— إننى اتقدم فى سرعة ، ولكن ..

سأله (رفعت) فى قلق :

— ولكن ماذا ؟

عقـــد (حسين) حاجبيه ، وكأنما يوحى باهمية الأمـــر وخطورته ، قائلا :

— لست اثق فى إخلاص هذا الرجل ، او ولائه للحركة .

سأله (رفعت) :

— اتقصد (إبراهيم مكى) ؟

أومأ (حسين) براسه إيجابا ، وهو يجيب :

— ومن غيره ؟

استرخى (رفعت) فى مقعده مرة اخرى ، وهو يسأله :

— وما الذى يجعلك تشك فى امره ؟

اجابه (حسين) فى سرعة :

— إنه يتعامل مع الأمر فى سخرية ، كما لو كان لا يثق فى استمرار نجاح حركة الجيش .

سأله (رفعت) فى لهجة توحى بانه لم يهتم كثيرا بالنقطة الأولى :

— وماذا ايضا ؟

ارتبك (حسين) ، وبدا له ان محاولته قد باءت بفشـــل ذريع ، وتمتم :

ـــ إنه .. إنه ..

ثم اندفع فجاة يستطرد :

ـــ إنه احد اعضاء البوليس السياسى سابقا .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

ـــ اهذا هو اسلوب تفكيرك ؟

زاد هذا من ارتباك (حسين) ، فقال متوترا :

ـــ إننى لا اثق فيه فحسب .

تأمله (رفعت) لحظة فى صمت ، ثم نهض يربت على كتفه ، قائلا :

ـــ اسمع يا (حسين) .. سبق ان اخبرتك اننا نحتاج إلى خبرة (إبراهيم مكى) ، واننا لانهتم كثيرا بولائه للحركة من عدمه ، ولكن من الواضح انك تكرهه للغاية ، وانك تحاول إقصاءه بوسائل صبيانية .

تمتم (حسين) فى توتر :

ـــ سيدى .. إننى ..

قاطعه (رفعت) مبتسما :

ـــ لست اريد تفسيرات او تبريرات .. سنعتبر انك لم تقل شـــيئا ، واننى لم اسمع شـــيئا .. قل لى : ما رايك لو تصحبنى إلى نادى الجزيرة ؟

هتف (حسين) مبهورا :

ـــ نادى الجزيرة ؟!.. الا يقولون إن هذا النادى يقتصر على الأمراء ، و ...؟

لوح (رفعت) بكفه ، قائلا :

ـــ لقد مضى هذا العهد .. ستفتح ابواب نادى الجزيرة للشعب .. إنه عصر المساواة ..

ثم عاد يبتسم ، مستطردا :

ـــ والآن هيا بنا .. ستجد الجميع هناك .

ابتهج (حسين) ، وشعر بالفخر كثيرا ، وهو يجلس إلى جوار (رفعت) ، فى سيارة الجيش ، التى نقلتهما إلى نادى الجزيرة ، وشعر وهو يخطو بقدميه على أرض النادى ، انه قد قفز قفزة اجتماعية خطيرة ..

لقد استطاع دخول نادى الجزيرة ، الذى لم يكن يسمح بدخوله فيما مضى ، سوى لحاملى الألقاب الرسمية وأسرهم ، من الأمراء والبشوات ..

وفى كثير من الزهـــو ، صحب (رفعت) إلى تلك القاعة الأنيقة ، التى ما زالت تحمل شعار الملكية ، والتى صارت منذ قيام حركة الجيش مقرا لاجتماع مجلس قيادة الحركة ، وقتما يحلوا لأعضائه ..

والتقى (حسين) ـــ للمرة الثانية فى حياته ـــ بالضـــباط الأحرار ، وصافحهم واحدا واحدا ، وبخاصة ذلك الشاب الطويل ، ذو العينين اللامعيتن ، الذى يحمل اسم (جمـــال عبد الناصر) ..

وداعبه (عبد الحكيم) ، وهو يتمنى له حظـــا سعيدا فى النادى ، غامزا بعينيـــه على نحـــو خاص ، فى حين قـــال (صلاح سالم) فى حزم :

— معذرة يا فتى .. هـذا الاجتماع يقتصر على اعضـاء مجلس القيادة فحسب ..

ارتبك (حسين) ، واحتقن وجهه خجلا ، فابتسم (رفعت) ، وربت على كتفه ، قائلا :

— لا تتوتر إلى هذا الحد .. هيا .. اذهب وامرح قليلا فى النادى ، وسنرحل معا .

غمغم (حسين) :

— شكرا يا سيدى .

غادر القاعة الفاخرة ، وهو يلقى نظرة اخيرة على التاج الملكى ، الذى يزين احد جدرانها ، وراح يسـير فى حديقة النادى على غير هدى ، حتى سمع صوتا انثويا بالغ الرقة ، بدا فى اذنيه اشبه بتغريد عشرات البلابل ، يقول :

— انت احدهم ؟

التفت إلى مصدر الصوت بكيانه كله ، وتطلع مسحورا إلى شـابة فاتنة ، لها بشرة فى لون اللبن ، المختلط بقطرات من عصير الفراولة ، وعنق ناعم طويل ، وشعر اسـود فاحم طويل ، ينسدل على كتفيهـا فى رقة ونعومة ، ويصـنع من وجهها لوحة رائعة ، بعينيها الواسعتين الخضراوين ، وفمها الدقيق الساحر ..

وابتسمت تلك الفاتنة ابتسامة تؤكد ثقتهـا فى سحرها ، وفى تأثيرها عليه ، وقالت بصوت اكثر رقة :

— اما من جواب ؟

تمتم مسحورا مأخوذا :

— جواب لمـاذا ؟

اتسعت ابتسامتهـا ، فبدت اكثر جمالا من (أفروديت) نفسها ، وهى تقول :

— سألتك ألنت احدهم ؟

تمتم مبهورا :

— احد من ؟!

اطلقت ضحكة عذبة قصيرة ، اختلج لها قلبه بين ضلوعه ، وهى تقول :

— احد الضباط الأحرار بالطبع .

اجابها فى خفوت :

— لا .. لست احدهم .

ثم استدرك فى سرعة :

— ولكننى اعمل معهم .. إننى الذراع اليمنى للبكبـاشى (رفعت كساب) .

رفعت حاجبيها الرفيعين الجميلين ، وهى تقول :

— إذن فانت رجل ذو شأن .

هتف فى حماس :

— بالطبع .

تأملته لحظـات بعينيهـا الساحرتين ، قبل أن تقول فى خفوت :

— اتعلم انك وسيم جدا ؟

لم يصدق اذنيه ، وهو يسمع تلك العبارة ، من فاتنة مثلها ، فهتف :

ـ انا ؟

ثم استدرك :

ـ اشكرك يا سيدتى .

رفعت راسها فى ترفع ، وهى تقول :

ـ الأميرة (عايدة) .

هتف مبهورا ، وهو يملأ عينيه بوجهها وفتنتها مرة اخرى :

ـ اميرة ؟

قالت فى لهجة تحمل شيئا من السخرية :

ـ أيبهرك ان تتحدث إلى اميرة ؟

لم ينتبه إلى الرنة الساخرة فى صوتها ، وهو يقول :

ـ بل يسحرنى ان اتحدث إلى فاتنة مثلك .

ابتسمت شأن امراة نجحت فى إغواء رجل ، وقالت فى هدوء :

ـ اشكرك .

ثم استدارت تنصرف فى هدوء ، فاستوقفها هاتفا :

ـ اهذا كل شىء ؟

التفتت إليه تسأله فى رصانة :

ـ ماذا تعنى ؟

ارتبك وهو يقول :

ـ أعنى الن نلتقى مرة اخرى ؟

ابتسمت قائلة :

ـ سأفكر فى هذا .

ثم اضافت فى سرعة :

ـ إننى آتى إلى هنا كل يوم .

وابتعدت فى خطوات رقيقة سريعة ، وهى تعلم انها قد تركت خلفها رجلا مسحورا ..

رجلا قفز قفزة واسعة ..

فى سماء الحب ..

* * *

٢١ ـ قضية ..

اطلق (حسين) صفيرا منغوما من بين شفتيه ، وهو يرتدى ثيابه فى الصباح التالى ، وتضاعفت داخله تلك الفكرة ، التى تراود عقله منذ زمن ، فى ان يبحث عن شقة انيقة فى (القاهرة) لسكناه ، بعد ان مل السفر يوميا إلى هناك ، وبدا شديد الاهتمام بزيه هذا الصباح ، وشديد العناية بالنجوم التى تزين كتفيه ، وكأنما يسعى إلى إبراز رتبته جيدا ، وبدا مرحا للغاية، حتى انه قد ابتسم ابتسامة واسعة فى وجه (مفيد) ، وهو يدلف إلى حجرته ، وقال له فى مرح واضح :

ـ صباح الخير يا (مفيد) .. كيف حالك ؟

جلس (مفيد) على طرف فراش شقيقه ، وهو يقول :

ـ فى خير حال .. ولكن (حافظ) ليس كذلك ؟

سأله (حسين) بنفس المرح :

ـ لماذا ؟

اجابه (مفيد) فى حدة مباغتة :

ـ إنك لا تهتم بشأنه قط يا (حسين) ، على الرغم من انه مصاب بنوع من الانهيار العصبى الفائق ، حتى انه لم يذرف قطرة دمع واحدة ، حزنا على والدنا ، إلى هذه اللحظة .

عقد (حسين) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ الرجال لا يبكون .

صاح (مفيد) :

ـ هذا القول لا ينطبق على (حافظ) .. انت تعلم انه

ضعيف الشخصية ، ولا يحتمل الصدمات عادة ، ومن الواضح ان وفاة والدنا قد اصابته بصدمة شديدة .

قال (حسين) فى حدة :

— لست طبيبا متخصصا لتقول هذا .

لوح (مفيد) بذراعه ، قائلا :

— فلنسمع قول طبيب متخصص إذن .

صمت (حسين) ، وهو يتطلع إليه ، قبل ان يقول مستنكرا :

— اتريد ان تعرض (حافظ) على طبيب نفسانى ؟

قال (مفيد) :

— ولم لا ؟

صاح (حسين) غاضبا :

— الا تدرك طبيعة وضعى ومركزى الآن .. اتريد ان يقال إن شقيق (حسين البنهاوى) مصاب بالجنون ؟

هتف (مفيد) :

— اليس هذا افضل من ان يصاب بالجنون بالفعل ؟

صاح (حسين) :

— ومن ادراك ان هذا سيحدث ؟

— ومن ادراك انه لن يحدث ؟

— هذه الأمور فى علم الغيب .

— ولكن الله (سبحانه وتعالى) امرنا بالأخذ بالأسباب .

— لا ترتد عباءة الدين .

— ولا تنزع انت معطف العلم .. شقيقنا يتعرض لأزمة نفسية عنيفة .

وصمت لحظة ، قبل ان يتابع فى مرارة :

— ولو كان ابى حيا ما تركه هكذا .

ران الصمت لحظات ، و (حسين) يتطلع إليه فى غضب ، ثم قال فى صرامة :

— لو ...

واندفع يغادر الحجرة كالعاصفة ، فعض (مفيد) شفتيه فى غيظ ، مغمغما :

— صدقت (زينب) .. لقد بدأ عهد جديد ..

* * *

لم يدر (ماهر) ما الذى يمكن ان يحدث ، بشأن زواجه من (زينب) ، بعد وفاة (البنهاوى) ، وشعر بالحرج من مناقشة الأمر ، فى مثل هذه الظروف ، ولكنه راح يسير جيئة وذهابا من امام السراى ، وتحت نافذة حجرة (زينب) ، وهو يأمل رؤيتها يوما ، دون ان يدرى ان المسكينة كانت تراقبه من فتحات النافذة الخشبية ، وقلبها يخفق فى لوعة واسى ، ويحاول إقناعها بمناداته ، ولكن عقلها يعود فيستنكر مجرد التفكير فى امر الزواج من (ماهر) ، وهى لم تخلع ثوبها الأسود بعد ..

وفى هذه الليلة بالذات لم تعد تحتمل ، فلم تكد تلمحه يسير اسفل النافذة ، حتى فتحتها ، واطلت عليه دون ان تنبس ببنت شفة ..

ولم ينبس هو ايضا ببنت شفة ..

فقط اختلج قلباهما فى حب ولهفة ، وكل منهما يملأ عينيه بملامح الآخر ..

لحظتها فقط ادركت (زينب) انها تحب (ماهر) ..
لحظتها فقط حددت مشاعرها نحوه ..

وبكل الحب ، لوحت له بكفهـــا ، وارتسمت على شـــفتيها ابتسامة حانية محبة ، اختلطت بخيطين من الدموع الصامتة ، انحدرا على وجنتيها ..

ودون ان تنطق السنتهما حرفا ، دار بينهما حوار طويل :

ـــ احبك ..
ـــ وانا ايضـا ..
ـــ طال اشتياقى إليك ..
ـــ لن يبلغ شوقى .
ـــ ترى هل نلتقى ؟ ..
ـــ إننى أحلم بهذا .
ـــ متى ؟
ـــ من يدرى ؟
ـــ سأنتظر ..
ـــ لن يطول الانتظار بإذن الله .

وفى حنان ، مال (ماهر) على انامله ، واودعها قبلة دافئة ، ثم رفع كفه إلى شفتيه ، ودفع القبلة إلى شفتى (زينب) بنفخة هادئة كالنسيم ..

وتلقت (زينب) القبلة على شفتيها ، كمـــا لو ان (ماهر) يحتويها بين ذراعيه ، على الرغم من الأمتار التى تفصل بينهما ، وهى تطل عليه من نافذة الطابق الثانى ..

وفى صعوبة ، انتزع هو قدميه من الأرض انتزاعا ..
وفى عسر ، جذبت هى ضلفتى النافذة الخشبية ..

وافترق الحبيبان وقد بردت نار شوقهما قليلا ..
افترقا على وعد بلقاء غامض ..
لقاء لا يدرى سوى الله وحده ، أيتم فى هذه الدنيا ..؟
أم فى دار البقاء ..؟

* * *

ابتسمت الأميرة (عايدة) ابتسامة هادئة واثقة ، عندما رات (حسين) يعبر بوابة نادى الجزيرة ، وعيناه تبحثان عنها فى لهفـــة ، وتعمدت تركه يبحث عنها لحظات ، قبـــل ان تلوح له بيدها ، هاتفة :

ـــ انا هنا .

تهللت اساريره كلها ، وهو يتجه نحوها فى خطوات اشـــبه بالعدو ، قبل ان يهتف :

ـــ كيف حالك ؟

ضحكت قائلة :

ـــ هذه الاستهلالية تناسب الرجال لا النساء .

غمغم خجلا مرتبكا :

ـــ معذرة .

امسكت كفه فى بساطة ، وهى تبتسم فى دهاء ، وكانما تعلم جيدا تاثير ملمس انامليهـــا الرقيقة لكفـــه ، وقادته إلى مائـــدة منعزلة ، فى شرفة النادى ، وقالت :

ـــ كنت اعلم انك ستاتى .

هتف بها فى حماس :

ـــ ما كنت لاتاخر ابدا .

ابتسمت فى ثقة ، وكانما راق لها الجواب ، او كانت تتوقعه ، ثم سألته فى اهتمام :

— كيف حال عملك مع (رفعت كساب) ؟

اجابها فى زهو :

— عظيم .. إننى استعد لتقلد منصب كبير ، فى إدارة جديدة ، ستصبح اقوى سلطة فى الدولة يوما ما .

قالت فى حماس :

— رائع .

ثم مطت شفتيها ، مستطردة :

— على الرغم من اننى لا اؤيد هذه الحركة كثيرا .

سالها فى دهشة :

— لماذا ؟

اجابته فى ضحكة عصبية :

— اتسالنى ؟ .. لقد اتيتم للقضاء علينا ، ولتجريدنا من كل القابنا وممتلكاتنا .

قال محاولا الدفاع :

— إننا نهدف إلى المساواة .

قالت ساخرة :

— اية مساواة ؟ .. حتى بين المتسولين توجد فروق ، فهناك من يراس آخرين ، ومن يتسول فى مناطق راقية ، وهناك من يراسه غيره ، ولا يملك حتى نصف ما يتسوله .

سالها فى دهشة :

— وكيف تعلمين امرا كهذا ؟

قالت ساخرة :

— من الروايات .

ثم مالت نحوه ، تضيف فى تحد :

— اخبرنى ما الذى فعلته حركتكم هذه حتى الآن ..؟ .. لم تفعل سوى التدمير .. إلغاء الالقاب ، مصادرة اموال وممتلكات اسرة (محمد على) ، منع السفر خارج البلاد بدون تصاريح خاصة ، اعتقال السياسيين .. قانون الإصلاح الزراعى ونزع الملكية .. اهكذا ترون الثورية ؟.. منع فقط ؟

ارتبك وهو يقول :

— إنها مجرد مرحلة ، ثم ..

قاطعته ساخرة :

— ثم ماذا ؟ .. هل ستذبحوننا ؟

زفر فى ضيق ، وهو الذى كان يتوقع لحظات عاطفية سعيدة ، لا هجوما شرسا ، وقال :

— يبدو انك تنظرين إلى الثورة بمنظار اسود .

قالت فى سخرية :

— ثورة ؟!.. هل اطلقتم على انقلابكم هذا اسم الثورة ؟

ثم لوحت بكفها ، مستطردة :

— هذا لا يغير من الأمور شيئا على اية حال .. فلتكن ثورة .. سيضفى هذا عليها لمسة شاعرية على الأقل .

عقد حاجبيه ، قائلا :

— اهذا كل ما سنتحدث فيه ؟

ضحكت قائلة :

— لا بالطبع .. إنه مجرد حوار .. ثم إننى لست ناقمة عليكم على اية حال ، على الرغم من انكم قد استوليتم على بعض مجوهراتى .. اعنى كلها .

ثم مالت نحوه بغتة ، مستطردة :

— قل لى : اين تقيم ؟

ادهشه السؤال ، ولكنه اجاب فى سرعة :

— فى سراى والدى ، فى قريتنا .

رفعت حاجبيها ، هاتفة فى دهشة :

— سراى ؟!.. إذن فأنت احد اعيان الريف .

ثم رسمت على شفتيها ابتسامة ساحرة ، وهى تستطرد :

— ولماذا لا تقيم فى (القاهرة) ؟

تمتم وكأنما لم تخطر الفكرة بباله ابدا :

— هنا ؟

مالت نحوه ، وهى تقول فى همس :

— سيكون هذا افضل ، فلو انك تقيم هنا ، فسيمكننا ان نلتقى فى شقتك .

خفق قلبه ، وهو يقول :

— حقا ؟!

ازداد ميلها نحوه ، حتى شعر بأنفاسها العطرة تملأ انفاسه ، وهى تهمس :

— اليس هذا افضل من اللقاء هنا ؟

همس وقلبه ينبض فى عنف :

— بالتأكيد .. لقد حسمت قضية تشغل فكرى منذ زمن .

وضرب سطح المنضدة فى رفق ، مستطردا فى حزم :

— سأترك القرية ، واحيا هنا ، فى (القاهرة) ..

وبدات ملامح العهد الجديد تتضح ..

* * *

٢٢ — مفاجأة ..

رفع (رفعت كساب) عينيه إلى (حسين) ، وتطلع إليه طويلا ، قبل ان يبتسم قائلا :

— تقيم فى (القاهرة) ؟!.. بالطبع .. هذا ما كان ينبغى لك ان تفعله منذ البداية .. ماذا ستفعل فى قريتك الصغيرة ؟.. المستقبل هنا .. فى قلب الثورة .

ونهض فى حزم ، مستطردا :

— سنبحث لك عن شقة انيقة واسعة ، تليق بك وبمنصبك الجديد .. ما رايك فى شقة على النيل ، فى (جاردن سيتى) ؟

لم يصدق (حسين) اذنيه ، وهو يهتف :

— هذا اروع مما تصورت يا سيدى .

قال (رفعت) فى حماس :

— فليكن .. لقد امرت الثورة بترحيل صحفى ارمنى خارج البلاد ، وشقته خالية فى الوقت الحاضر ، ويمكنك ان تتسلمها من الغد .

هتف (حسين) فى امتنان بالغ :

— كيف اشكرك يا سيدى ؟.. كيف ؟

رفع (رفعت) سبابته امام وجهه ، محذرا :

— ستدفع إيجارها بالطبع .

ضحك (حسين) ، وهو يقول :

— بالطبع .

ابتسم (رفعت) ، وهو يقول :

— بالمناسبة ، هناك شكوى مقدمة ضدك .

عقد (حسين) حاجبيه ، وهو يسأله فى دهشة :

ـ ضدى انا ؟!

ضحك (رفعت) ، قائلا :

ـ لا تقلق هكذا .. إنها شكوى تافهة ، قدمها زوج شقيقتك (عمر) إلى (محمد نجيب) نفسه ، يقول فيها إنك قد استوليت على ميراث والدك كله لنفسك ، ويطالب بالعدل والإنصاف .

هتف (حسين) فى غضب :

ـ ذلك الحقير !! لقد كتب والدى الأرض كلها باسمى قبيل وفاته .

اجابه (رفعت) فى هدوء :

ـ أعلم ذلك ، ولكن احد المحامين الكبار يقول : إنه لو استطاع اشقاؤك إثبات ان عقد البيع صورى ، وانك لم تملك أبدا ما يكفى ثمنا للأرض ، فسيمكنهم استصدار حكم بعدم صحة البيع ، وتوزيع الميراث شرعيا !

اندهش (حسين) لحظات ، ثم قال فى عصبية :

ـ هذا لو وصل الأمر إلى القضاء .

اتسعت ابتسامة (رفعت) ، وهو يقول :

ـ لقد وصل .

حدق (حسين) فى وجهه بدهشة ، فاستطرد :

ـ لقد رفع (عمر) قضية بهذا الشأن صباح اليوم .

هتف (حسين) :

ـ كيف عرفت ذلك يا سيدى ؟

رفع (رفعت) حاجبيه ، هاتفا :

ـ كيف عرفت ؟!.. ياله من سؤال يا (حسين) !.. انسيت انك تتلقى تدريبات فى هذا الشأن ؟.. فى فن المعرفة .

تمتم (حسين) :

ـ بالتأكيد .

ثم استطرد فى توتر وقلق :

ـ ولكن ماذا افعل لو ان (عمر) استصدر قرارا بإلغاء البيع ؟

ابتسم (رفعت) ابتسامة غامضة ، وقال :

ـ لن يفعل .

قال (حسين) :

ـ كيف ؟.. إنه رجل شره للمال ، وشديد العناد ...

قاطعه (رفعت) مبتسما :

ـ دع لى هذا الأمر .. وسيتنازل (عمر) عن القضية .

ثم اشعل سيجارته ، مستطردا فى غموض :

ـ لن يكون أمامه سوى أن يفعل ..

واتسعت ابتسامته ..

* * *

تابع (مفيد) بعينيه شقيقه (حسين) ، وهو يعد حقائبه ، للانتقال إلى شقته الجديدة فى (القاهرة) ، وقال فى ضيق :

ـ إنك تترك أمورا خلفك بلا حسم يا (حسين) .

قال (حسين) فى برود :

ـ كل الأمور يمكن حسمها ، ثم إننى لست ذاهبا إلى القمر .. إنها (القاهرة) فحسب .

ـ وماذا عن زواج (زينب) ؟

ـ هذا الـ (ماهر) لا يروق لى .

— ولكن والدنا (رحمه الله) وافق على زواجها منه .
— فليكن .. لتتزوجه ، لو انه يحلو لها .
— بهذه البساطة ؟!
— أتحب أن الجأ إلى التعقيدات ؟
— لا .. وبالمناسبة ، لقد عرضت (حافظ) على طبيب .
التفت إليه (حسين) فى حدة ، عندما بلغ هذه النقطة وهتف مستنكرا :
— طبيب ؟!.. الم نناقش هذا الأمر من قبل ؟
تجاهل (مفيد) ذلك السؤال الاعتراضى ، واكمل :
— والطبيب يقول إنه مصاب بانهيار عصبى تام ، وبانفصام شخصية وقتى ، ، بسبب عجزه عن تقبل الأمر الواقع ، وصراع رغباته مع واقعه ، ويؤكد الطبيب ضرورة نقله إلى مستشفى الأمراض النفسية لعلاجه ...
قاطعه (حسين) فى صرامة :
— لن يذهب .
قال (مفيد) فى حدة :
— سيصاب باكتئاب تام لو لم يذهب ...
هتف (حسين) فى غضب .
— قلت لك إنه لن يذهب .. لن يردد خصومى ابدا ان شقيقى مجنون .
صاح (مفيد) :
— فى هذه الحالة سأذهب انا معه .
انتزع (حسين) مسدسه من سترته ، وهو يقول فى غضب صارم :

— عندئذ أفضل ان اقتله .
وكان (مفيد) يعلم أن (حسين) قادر على فعلها حقا .. ودون تردد ..

* * *

ادارت (عايدة) عينيها فى أرجاء شقة (حسين) الفاخرة ، وهى تقول فى لا مبالاة :
— جيدة إلى حد ما .
هتف (حسين) فى حماس :
— إننى اراها رائعة .
ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :
— من الطبيعى ان تراها انت كذلك .
ضغطت فى قوة حروف لفظ (انت) ، إلا انه لم ينتبه إلى المعنى الذى تقصده ، وهو يضع يديه على كتفيها من الخلف ، قائلا فى هيام :
— اخيرا اصبحنا وحدنا .
قالت دون أن تلتفت إليه :
— اخيرا .
واتجهت فى هدوء نحو مقعد وثير ، وتركت جسدها يغوص فيه ، وهى تسأله :
— قل لى يا (حسين) : الم تغادر (مصر) ابدا ؟
جلس على المقعد المجاور لها ، وهو يقول :
— لست اشعر بالرغبة فى هذا .
قالت فى حماس :

— خطأ يا (حسين) .. إنك لم تر (أوربا) .. قارة الجمال .. لو أنك رأيت (باريس) مرة واحدة فستعشقها إلى الأبد ، ولو أنك شاهدت (روما) وآثارها ومتاحفها ، فستسجد لها طيلة العمر ، ولو أنك ..

قاطعها فى ضجر :

— ولكننى أحب (مصر) .

مطت شفتيها فى ازدراء ، وقالت :

— تحبها ؟! .. حبها كما يحلو لك ، ولكن سافر لترى الدنيا.

ثم غاصت أكثر فى مقعدها ، والتمعت عيناها ببريق خاص ، وهى تضيف :

— أم أنك تعجز عن الحصول على تصريح سفر خاص ؟

أشار إلى صدره ، وهو يقول فى زهو :

— أنا ؟! .. إننى أسافر وقتما أشاء .

التمعت عيناها مرة أخرى ، ونهضت من المقعد ، وجلست على مسند مقعده ، ومالت برأسها نحوه ، وهى تقول هامسة :

— كم أتمنى لو نذهب إلى (باريس) معا .. إلى عاصمة الفن والحب والجمال .. هناك تتألق المشاعر ، ...

قاطعها فى لهفة :

— هنا أيضا تتألق المشاعر .

أطلقت ضحكة عابثة طويلة ، وقالت :

— لا .. (باريس) شىء آخر .

هم بتطويق خصرها بذراعه ، عندما ارتفع فجأة رنين جرس الباب ، فأجفلت هاتفة :

— هل تنتظر أحدا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— مطلقا .. لا ريب أنه زائر للساكن السابق ، لم يعلم بأمر ترحيله بعد .

قالت فى قلق :

— من الأفضل أن نحتاط .. سأختبىء فى حجرة النوم .

قال وهو يتجه نحو الباب :

— هذا أفضل بالفعل .. اذهبى .

أغلقت خلفها باب حجرة النوم ، فى حين اتجه هو إلى الباب ، وفتحه ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ..

لقد وجد أمامه آخر شخص يحب أن يراه ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وجد أمامه (إبراهيم) ..

الصاغ (إبراهيم مكى) ...

ترقب البقية فى العدد القادم من كوكتيل ٢٠٠٠

الانتظار

(قصة قصيرة)

كالمعتاد ، وصلت هى اولا ..

وكان عليها أن تنتظره ..

كل مرة يحدث هذا ..

كل مرة يكون عليها هى أن تنتظر ..

زفرت فى حنق ، وتطلعت إلى ساعتها ، ثم عادت تتطلع إلى الطريق ..

إنه لا يحترم اية مواعيد ..

حتى فى عمله يصل متاخرا ..

وهى على عكسه تماما ، تصل دوما فى موعدها ..

وتنتظر ..

ولاول مرة ، منذ بدات علاقتهما ، شعرت نحوه بالسخط ..

لماذا تحتمله هى دوما ؟.

لماذا تحتم قواعد التعامل أن تذلل النساء الرجال قبل الزواج ؟..

وفى اعماقها ، انفجرت ثورة ..

لا ..

لن تنتظره هذه المرة ..

لقد وصلت فى موعدها ، وما دام هو لم يصل ، فليحتمل النتائج ..

وفى حزم ، اندفعت تغادر مكانها فى غضب ، وعبرت الطريق فى عصبية مفاجئة ..

وارتفع صرير إطارات سيارة ، تحتك فى الطريق بقوة ، مع محاولة صاحبها إيقافها فى استماتة ، واعقبه صوت ارتطام السيارة بجسم لدن ..

وشعرت هى بالصدمة ، ثم تلاشى شعورها بالالم بغتة ، وراحت روحها تفارق جسدها فى نعومة وهدوء ، محلقة نحو الابدية ..

والعجيب انها لم تشعر برهبة الموت حينئذ ، بل كل ما شعرت به هو السخط ؛ لانه حتى فى هذا ستذهب هى اولا ..

وسيكون عليها أن تنتظره ...

* * *

(قصة قصيرة)

لعبة كبار

« كفى يا ولد .. »

رفع الصغير عينيه فى حيرة ، يتطلع إلى والده ، الذى عقد حاجبيه فى صرامة ، مكررا :

ـ قلت لك كفى .

لم يدر لماذا يمنعونه هو بالذات من العبث بتلك الأزرار ، التى يعبثون بها طيلة الوقت ، فتظهر على الشاشة الملاصقة لها صور متحركة طريفة ، يحب هو مشاهدتها ومتابعتها فى شغف ..

وفى حذر ، القى نظرة على والده ، الذى انشغل بمطالعة صحيفته ، ثم مد أصابعه المنمنمة نحو أزرار التلفاز ، ولم يكد يلمسها حتى تعالى صوت امه :

ـ لا تعبث فى التلفاز .

تراجعت أصابعه ، وهو يضرب الأرض بقدمه الصغيرة فى غضب ، ثم ابتعد عن الجهاز بخطوات حذرة ، فهو لم يألف المشى على قدمين بعد ..

لقد كان منذ فترة قصيرة يحبو على أربع ، مثل ذلك القط الخامل ، الذى لا يفعل طيلة اليوم سوى أن يصرخ ويموء ، عندما يجذب هـو ذيله المثير للفضول ، وهـو يتراقص فى نعومة ، حتى عندما يكون ذلك القط نصف نائم ..

ولم تحتمل قدماه الصغيرتان المشى طويلا ، فانحنى جسده لتلامس كفاه أرض الحجرة ، ثم جلس فى هدوء ، وراح يبتسم لأمه ، التى انشغلت فى ترتيب وتنظيف المكان ، فاكتفت بان بادلته الابتسام ، دون أن تحاول حمله أو مداعبته ، فالتفت إلى والده ، وراح يبتسم ، ويحرك كفيه الصغيرتين على ذلك النحو ، الذى يضحك له والده كثيرا فى ساعات الصـفاء ، ولكن والده كان منهمكا فى قراءة الصحيفة تماما ، حتى انه لم ينتبه إلى صغيره ..

وفى ضجر ، راح هو يحبو فى المكان ، حتى بلغ التلفـاز مرة أخرى ، فأمسك سطح مائدته بكفيه الصغيرتين ، ورفع جسده إليه ، ووقف مرة أخـرى على قدمين ، وراح يتطلع إلى الشاشة المظلمة فى أمل ..

لمـاذا لا تعمل ؟..

لمـاذا لا تجلب إليه تلك الصور المتحركة ، والمشـاهد الطريفة ؟..

إنه يشعر بالملل دونها ..

وفى اهتمام ، مد أصابعه الصغيرة ، وضغط الزر ..

واضاءت الشاشة ..

ولم يكد هو يتهلل مبتسما ، حتى هتف والده فى غضب :

— لا تعبث بالتلفاز .. لقد حذرتك من قبل .

واسرعت امه تغلق التلفاز ، وهى تقول :

— لا يا صغيرى .. كفاك عبثا .

ثم حملته ، وضعته فى منتصف الحجرة ، بعيدا عن التلفاز ..

وجلس هو صامتا لحظات ..

لم يفهم قواعد اللعبة ..

لعبة الكبار ..

إنهم لا يريدون مداعبته ، او حتى تركه ليداعب نفسه ..

إنهم يضجرونه فى شدة ..

وفى هذه المرة لم يعد امامه سوى امر واحد ..

ان ينفجر باكيا ..

ولقد فعل ..

العقرب

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

الجزء الأول

ملك الجريمة

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العقرب

عندما يعجز القانون البشرى عن القصاص..
عندما تحيط العدالة عينيها بعصابة سميكة..
حينما يرتفع ذلك الحاجز بين العدالة والقانون..
عندئذ يهب هو للقتال، حاملا ذلك الاسم، الذى يثير الرجفة فى قلوب أعتى المجرمين..
اسم (العقرب).

د. نبيل فاروق

١ ـ قضية جديدة..

ارتفعت حرارة الجو كثيرا ، فى ذلك الصيف ، الذى لم تشهد (مصر) مثيلا له منذ سنوات طويلة ، واكتست وجوه المارة ، فى شوارع وسط (القاهرة) ، بقناع من التوتر والعرق ، وبدا الجميع فى حالة يرثى لها من شدة القيظ ، حتى أن احدا لم ينتبه إلى تلك السيدة ، التى تجاوزت الخمسين من عمرها بعام أو عامين ، والتى توقفت مترددة ، عند إشارة عبور مشاة ، فى تقاطع شديد الازدحام ، تلتقى فيه ثلاثة شوارع رئيسية كبيرة ، فى ميدان صغير ، يتوسطه تمثال لواحد من زعماء (مصر) الوطنيين ، الذين كان لهم كل الفضل فى إذكاء جذوة الوطنية المتقدة ، فى النصف الأول من القرن العشرين ..

وبدت السيدة النحيلة شديدة الارتباك والتردد ، مما يؤكد انها المرة الأولى تقريبا ، التى تهبط فيها من الأقاليم إلى (القاهرة) ، أو تواجه زحام وسط العاصمة ، خاصة وقد كانت تحمل بيدها ورقة صغيرة ، دونت عليها اسم وعنوان محام شاب ، لم ينل الكثير من الشهرة بعد ..

وكان اسم هذا المحامى هو (نديم) ..

(نديم فوزى) ، الذى نعرفه نحن بلقب آخر ..

لقب (العقرب) ..

وعندما بلغت السيدة تلك البناية القديمة ، التى يحتل مكتب (نديم فوزى) للمحاماة إحدى شققها الواسعة ، كانت تتصبب عرقا ، من حرارة الجو والانفعال معا ، حتى لقـد بدت على شفا الانهيار ، عندما بلغت مكتب (نديم) ، مما دعا (غادة) زميلة (نديم) وشريكه ، إلى الإسراع إليها ، قائلة فى إشفاق :

— رويدك يا أمـاه .. يمكنك الاسـتناد إلى ذراعى ، فمظهرك يوحى بانك ستسقطين فاقدة الوعى .

تمتمت السيدة فى إعياء :

— لم يخطىء ظنك كثيرا يا بنيتى .

عاونتها (غادة) على اتخاذ مقعد يجاور حجرة (نديم) ، وهى تقول فى تعاطف :

— اجلسى يا سيدتى ، والتقطى انفاسك اولا .

اتخذت السيدة مجلسها ، وسـط المقعد الوثير ، وراحت عيناها تجوبان مقاعد المكتب الخالية فى قلق واضـح ، على الرغم من لهاثها ، المسـموع ، فابتسـمت (غادة) ، وهى تقول :

— المكتب لا يزدحم بالزبائن عادة .

رمقتها السيدة بنظرة اكثر قلقا ، فأضافت (غادة) :

— لأن السيد (نديم) يربح قضاياه فى سرعة .

اطلقت السيدة زفرة حارة ، وهى تهمهم :

— آه !!

نطقتها فى لهجة تحمل الكثير من الارتياح والأمل ، ثم مالت نحو (غادة) ، تسألها فى لهفة :

— وهل السيد (نديم) هنا ؟

اجابتها (غادة) ، وهى تبتسم فى تعاطف :

— إنه هنا .. اطمئنى .. التقطى انفاسك اولا ، ثم ...

قاطعتها السيدة ، وهى تغادر مقعدها فى انفعال :

— دعك من انفاسى .. أريد مقابلته على الفور .

رفعت (غادة) حاجبيها فى دهشة ، إلا انها لم تعترض ، بل نهضت من مقعدها بدورها ، وطرقت باب مكتب (نديم) ، ثم دفعت بابه ، وقالت :

— سيدة تطلب مقابلتك .

ولم تدر السيدة لماذا خامرها شعور بالارتياح والاطمئنان ، عندما سمعت صوت (نديم) الهادىء الرصين من الداخل ، وهو يقول :

— فلتتفضل ..

تقدمت السـيدة داخل حجرة مكتب (نديم) الفاخـرة فى حذر ، وهى تقدم قدما وتؤخر اخـرى ، وقد بهرتها فخامة المكتب والأثاث ، والقت فى قلبها شـيئا من التوتر والحذر ، ازالتهما ابتسامة هادئة من (نديم) ، وهو يصافحهـا قائلا بلهجته الرصينة الدافئة :

— مرحبا بك فى مكتبى يا سيدتى .. أنا (نديم فوزى) ، فى خدمتك .

ادارت السيدة عينيها حولها مرة اخرى ، وركزت بصرها لحظات على ابتسامة (غادة) ، ثم ملأت عينيها بوجه (نديم) الجاد الوسيم ، قبل ان تقول فى تردد :

— اسمى (نوال) ، وانا اقيم وحدى فى (المنصورة) .

صمتت لحظة ، تنتظر تعليقا او تعقيبا ، فلمـا لم تجد ، تابعت :

— لقد توفى زوجى منـذ عشرة اعوام ، وتـرك لى ولدا واحدا ، كافحت لأجعل منه مهندسا ناجحا ، كرغبته ، وكامل والده (رحمه الله) .

ازدردت لعابها على نحو ملحوظ ، عند هذه النقطة ، ثم اضافت فى توتر :

— ولقـد تخرج من كلية الهندسـة منذ ثلاثة اعـوام ، ولا يمكنكما تصور مدى فرحتى فى ذلك اليوم، ولكن .. لكن ..

تفجرت الدموع من عينيها دفعة واحدة ، وراحت تبكى فى حرارة ومرارة ، جعلتا (غادة) تتطلع إليها فى مزيد من العطف والإشفاق ، فى حين دفعتا (نديم) إلى ان يربت على كفهـا بيده فى حنان ، وهو يقول :

— رويدك يا سيدتى .. ماذا أصاب ابنك ؟

هتفت السيدة من وسط دموعها :

— إنه برىء .. اقسم لك انه برىء .. ذلك الحقير هو المسئول ، هو الذى دفع بإبنى فى ذلك .

قال (نديم) فى اهتمام :

— اهدئى يا سيدتى ، واشرحى لى الأمر كله .

جففت السيدة (نوال) دموعها ، وإن بدا صوتها اشـبه بالنحيب ، وهى تروى :

— فور تخرج (أحمد) ابنى ، التحق بالعمل فى واحدة من شركات المقاولات الكبرى ، التابعة لذلك المجرم ، وراح يمنح عمـله كل اهتمـامه ، حتى انه قـد انتقل للعيش هنـا فى (القاهرة) ، ولم اعد اراه إلا لماما ، ومنذ اسبوعين تقريبا ، فوجئت به يعـود إلى (المنصورة) ، شاحب الوجه ، زرى الهيئة ، واخبرنى بكل الذعر والفزع أن الشرطة تبحث عنه ، وتتهمه بارتكاب جريمة لم يرتكبها ، واقسم لى بروح ابيـه الراحل انه برىء من تلك التهمة ، وان مرتكبها الحقيقى هو ذلك المجرم ، صاحب الشركات .

سألها (نديم) فى هدوء ، لا يخلو من الاهتمام :

— وما نوع التهمة يا سيدتى ؟

ارتجف صوت السيدة ، وهى تقول :

— جريمة قتل .

رفعت (غادة) حاجبيها ، على نحو يوحى بأنها لم تتوقع هذا الأمر ، فى حين بدا (نديم) — كعادته — شديد الجدية والاهتمام ، وهو يسألها :

— ومن هذا المجرم ، صاحب الشركات العقارية ؟

تطلعت إلى عينيـه طويلا فى تردد ، ثم اجابت بصـوت خافت ، وكأنما تخشى مجرد ذكر الاسم :

— (صالح عثمان) .

ارتفع حاجبا (غادة) على نحو أعنف هذه المرة ، وانطلق من بين شفتيها هتاف :

ـــ (صالح عثمان) بنفسه ؟.

اندفعت السيدة (نوال) تقول فى توتر :

ـــ نعم .. هو بنفسه .. هو قتل مدير مكتبه ، واتهم ابنى بقتله ، على الرغم من ان ابنى ليس بقاتل وليس ..

قاطعها (نديم) فى اهتمام :

ـــ وما دليلك على هذا يا سيدتى ؟

بدت الحيرة فى وجهها ، وهى تقول :

ـــ الدليل ؟!.. اى دليل ؟.

مال نحوها ، يسألها :

ـــ ما دليلك على أن ابنك لم يرتكب الجريمة ؟

قالت فى عصبية :

ـــ قل لى اولا : هل تخشى (صالح عثمان) ، كما يخشاه الجميع ؟

اجابها فى هدوء :

ـــ الدليل يا سيدتى .. لا يمكننا إدانة رجل مثل (صالح عثمان) ، دون دليل مادى قوى .

هتفت فى حدة :

ـــ كنت اتوقع هـــذا ، فالجميع يخشون (صالح عثمان) هذا .. رجال الشرطـــة ، والقضـــاء ، الجميع يخشـــون سطوته .

عقد (نديم) ساعديه امام صدره ، وقال :

ـــ الأمر لا يتعلق بـ (صالح عثمان) أو سواه يا سيدتى .. إنها عملية قانون وإجراءات ، و ...

اجهشت السيدة بالبكاء بغتة ، ودفنت وجهها فى راحتيها ، وهى تقول فى مرارة :

ـــ لا فائدة إذن .. لقد كنت املى الأخير ، بعد ان احـــكم هؤلاء الأوغاد الطوق حول رقبنـــة ابنى .. كنت املى الأخير والوحيد .

تطلعت (غادة) إلى (نديم) فى حيرة ، فى حين عقد هـــذا الأخير حاجبيه ، وهو يسأل السيدة فى اهتمام :

ـــ املك الأخير والوحيد ؟!.. من دفعك إلى هذا الاعتقاد يا سيدتى ؟

رفعت عينيها المبللتين بالدموع إليه ، وقالت فى لهجة باكية :

ـــ ضابط كبير من ضباط الشرطة ، برتبة لواء ، كان يتابع التحقيق منذ بدايته ، ومن المؤكد أنه قد أيقن من براءة ابنى ، على الرغم من ان كل الأدلة تدينه ، فلقد انتحى بى جانبا ، ومنحنى ورقة تحمل اسمك وعنوانك ، واخبرنى انك الوحيد الذى يمكنه إثبات براءة ابنى ، وإدانة (صـــالح عثمان) ..

بدا الاهتمام على وجه (نديم) فى شدة ، وهو يسألها :

ـــ ومن هذا اللواء ؟

اجابته فى خفوت ، وهى تواصل تجفيف دموعها :

ـ اســـمه (حلمى) .. اللواء (حلمى) ، من المبـــاحث الجنائية .

التقت نظرات (نديم) و (غادة) ، وبدا لحظة ان ومضة من البرق قد سرت بين نظرتيهما ، قبل ان تبتسم (غادة) ابتسامة غامضـــة ، ويتراجع (نديم) فى مقعـــده ، قائلا فى هدوء :

ـ حسنا .. اطمئنى يا سيدتى .. ساتولى هذه القضية.

وفى تلك اللحظة بالذات ، استعاد خيال (غادة) صورة لـ (نديم) فى زى وقناع من اللون الأسود الحالك ، وادركت ان ساعة العودة قد حانت ..

عودة (العقرب) ..

* * *

٢ ـ العـــودة ..

جلس (نديم) فى مكتبه شـــاردا ، يسترجع ذكرياته عن ماضيه فى الشرطة ..

كان فيما مضى ضابطا بالشرطة ، يبذل قصارى جهـــده لإحقاق الحق والعدل ، دون أن يلتزم بالقانون المكتوب ..

ولكن هذا كان ـ فى حد ذاته ـ مخالفة للقانون ..

وهكذا فقد (نديم) وظيفته ، وتم فصـــله من الشرطة ، بسبب احتكاكه بواحد من اعضـــاء مجلس الشعب ، يتجر سرا فى المخدرات ..

ورفض جهاز الشرطة منحه ترخيصا بافتتاح مكتب خاص للتحرى ، فما كان منه إلا ان افتتح مكتبا للمحاماة ، لم يلبث ان تحول إلى واجهه تخفى شخصيته السرية ، التى اتخذها لمكافحة الجريمة ، التى تعجز عنها يد القانون ..

وولدت شخصية (العقرب) ..

ولاول مرة فى تاريخ محاربة الجريمة فى (مصر) ، ظهـــر (العقرب) بقناعه الأسود ، وزيه القاتم ، وبطاقته البيضاء ، التى يتوسطها عقرب ذهبى ..

وانقسم موقف الشرطة تجاهه ..

كان اللـــواء (حلمى) واثقا من ان (نديم فوزى) هـــو (العقرب) ، وكان يتعاطف مع موقفه على نحو غير رسمى ،

محاولا التظـــاهر بجهله لحقيقـــة الأمر فى حين كان العقيد (مجـــدى) على النقيض ، يبغض (نديم) أشـــد البغض ، ويسعى للإيقـــاع به ، وإثبـــات انه ذلك المقنع ، وإن افتقر بدوره إلى الدليل ..

وبانتقامه من (نعمان والى) ، تاجر المخدرات وعضـــو مجلس الشـــعب ، هـــدات ثـــورة (نديم) ، وخلـــع زى (العقـــرب) ، وراح يبذل اقصى جهـــده للنجـــاح فى عمله كمحام ..

حتى برزت قضية (صالح عثمان) ..

أفاق من شروده وذكرياته على صـــوت (غادة) ، وهى تدلف إلى حجرته ، هاتفة :

ـــ كانت مهمة شاقة بحق .

رفع عينيه إليها ، واعتدل يسألها فى اهتمام :

ـــ هل حصلت على المعلومات المطلوبة ؟

أجابته وهى تلقى جسدها فوق المقعد المواجه لمكتبه :

ـــ كلها .

والتقطت نفسا عميقا ، ثم اعتدلت تستطرد :

ـــ لقد تمت الجريمة على نحو تقليدى ، لم يعد يصلح حتى للأفلام السينمائية الهابطة ، فلقد تشاجر (أحمد) مع (سالم زين) ، مدير مكتب (صالح عثمـــان) ، بسبب جزاء أوقعه (صالح) على (أحمـــد) ، حاول الأخير ان يلتقى بالأول ،

ليسأله عن سببه ، فمنعه (سالم) من الدخول ، مما ادى إلى حدوث المشاجرة ، وفى المساء التـــالى ، قتل (ســـالم) فى مكتبه ، بفتاحة الخطابات الخاصة بـ (أحمد) ، وأدلى اربعة من أقرب الرجال إلى (صالح) بشهادة حاسمة ، تدين (أحمد) على نحو لا يتطرق إليه الشك ، ولم يكن لدى (أحمد) دليل براءة واحد ؛ لذا فقد أمر وكيل النيابة بحبســه حبسا مطلقا ، لحين تقديمه إلى المحاكمة .

سألها فى اهتمام :

ـــ وماذا عن (صالح عثمان) ؟

حطت شفتيها ، وهزت سبابتها امام وجهها ، قائلة :

ـــ رجل خطير بحق .. إنه واحد من اكبر رجال المقاولات فى (مصر) ، وفى الوطن العربى كله ، وله اتصالات رهيبة ، تجعله من اقـــوى الرجال فى هـــذا المجتمع ، وثروته غير محدودة ، على الرغم من أن ضرائبـــه لا تزيد عادة على رقم ذى ثلاثة اصفار ، وهو صديق شخصى لرئيس الوزراء ووزير الداخلية ، و ...

قاطعها فى شىء من الضجر :

ـــ أريد المعلومات غير الصالحة للنشر .

ابتسمت وهى تقول :

ـــ لقد زرت صديقنا اللواء (حلمى) فى مكتبه ، وقضيت معه بعض الوقت ، وهو مؤمن تماما ببراءة (أحمد) ؛ لسبب

بسيط ، الا وهو انه يعلم لمـــاذا قتل (صالح عثمان) مدير مكتبه ؟

مال (نديم) إلى الأمام ، وهو يسألها فى اهتمام بالغ :

ـ لمـــاذا ؟

اجابته فى حماس :

ـ لان اللواء (حلمى) بنفسه عثر على ما يدين (سالم) ، وهدده بتقديم كل ما لديه إلى النائب العـــام ، ما لم يعمل (سالم) لحساب الشرطـــة ، للإيقاع بـ (صـــالح عثمان) نفسه ؛ لأن (صالح عثمان) هو ملك الجريمة فى (مصر) ، على حد قوله .

ثم استدركت فى سرعة :

ـ وكانت هذه مبادرة فردية من اللواء (حلمى) بالطبع ؛ لأن سيادة وزير الداخلية لم يكن ليوافق على الإيقاع بأصدق أصدقائه ، على هذا النحو ؛ لذا فلن يمكن تبرئة (أحمـــد) اعتمادا على هذا .

تراجع (نديم) فى مقعـــده ، وشرد ببصره ، مغمغمـــا فى صرامة :

ـ دائما هناك مجرم تعجز عنه يد القانون .

غمزت (غادة) بعينها ، قائلة :

ـ ودائما هناك من يتصدى له .

تطلع إليها لحظات فى صمت ، قبل أن يقول بلا أدنى انفعال :

ـ كنت اتصور ان (العقرب) شخصية محدودة ، ظهرت للانتقـــام من (نعمان والى) فحســـب ، وبعدها ينبغى ان تتوارى خلف الستار ، لتفسح الطريق لـ (نديم فوزى) .

ابتســـمت فى هـــدوء ، ونهضت من مقعدها ، واتجهت إلى ركن من أركـــان مكتبـــه الفاخر ، وضغطت زرا خفيا فى الجـــدار ، فانزاحت مكتبة صـــغيرة فى بطء ، وظهـــرت خلفها فجوة صغيرة ، تتسع لقميص وسروال وقفاز وقناع من اللون الأســـود ، وعلبة أنيقة تحوى بطاقات بيضاء ، يتوسط كل منها رسم لعقرب ذهبى ، وقالت :

ـ لمـــاذا احتفـــظ (نديم فوزى) بكل هذه الأشياء إذن ؟

قال فى هدوء :

ـ على سبيل الذكرى .

هزت راسها نفيا ، وقالت :

ـ او لانه كان يخشى ان يظهر (نعمان والى) آخر .

وبدت لهجتها صارمة حاسمة ، وهى تضيف :

ـ ولقد ظهر بالفعل .

تمتم هو ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، وقد تعلقت عيناه بزيه السرى :

— وهو يحمل هذه المرة اسم (صالح عثمان) .

شعرت بالارتياح ، عندما راته يتحسس زى (العقرب) فى حنان ، وقال فى خفوت :

— هل سيمكننا تبرئة (أحمد) ؟

أجابها فى هدوء ، يحمل كل حسمه :

— لست ادرى ، ولكن القضية لم تعد مجرد قضية تبرئة متهم ، فحتى لو سلبنا الثعبان فريسته ، فلن يمنعه هذا من بث سمومه فى كل مكان .. الوسيلة المثلى لمنع السـم ، هى تحطيم رأس الثعبان نفسه .

قالت فى حماس :

— وراس الثعبان هذه المرة رجل يتزعم كل نظم الجريمة ، من تهريب عملات ومخدرات ، إلى قتل وسلب ، إلى ...

قاطعها فى حزم :

— فليكن حتى امبراطورا لعالم الجريمة فى الكون كله .

والتقط القناع الأسود مضيفا :

— إنه سيواجه (العقرب) هذه المرة .

وخفق قلب (غادة) فى قوة ..

لقد ادركت ان (العقرب) قد عاد ..

وان هذا الصيف سيزداد سخونة ..

أو سيشتعل ..

* * *

٣ ـ الملك ..

جلس (صالح عثمان) بقامته الضخمة ، وراسه نصف الأصلع ، وذلك السيجار الكوبى الكبير ، الذى قلما يفارق شفتيه ، فى حجرة مكتبه البالغة الفخامة ، التى تحتل الجانب الشمالى كله ، من قمة بناية شاهقة ، تحمل اسمه واسم شركته بحروف هائلة مضيئة ، تسمح لنصف سكان (القاهرة) بمشاهدتها ليلا ونهارا ، وراح يراجع بضع اوراق امامه ، قبل ان يسال مدير مكتبه الجديد فى لهجة تشف عن الاستهتار واللامبالاة :

— هل من جديد بشان ذلك المهندس التافه يا (عزت) ؟

انحنى (عزت) أمامه ، وهو يقول مبتسما فى خبث :

— إنه سيقدم للمحاكمة صباح الغد يا سيدى .

مط (صالح) شفتيه فى ازدراء ، وهو يقول :

— لقد تأخروا كثيرا ، كان ينبغى ان يعدموه على الفور .

قال (عزت) ، بنفس الابتسامة الخبيثة :

— بالتأكيد كان ينبغى أن يفعلوا يا سيدى .. لقد سلمناهم قضية مكتملة .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— تقصد أن القضية كانت سليمة .

هتف (عزت) :

— هذا ما اقصده بالتاكيد يا سيدى .

أومأ (صالح) برأسه علامة على ارتياحه للأمر ، قبل ان يضيف (عزت) :

ـــ ولكن (طومان) يطالب بمكافأة إضافية .

عاد (صالح) يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى حدة :

ـــ لمـــاذا ؟.. الم يحصل على عشرة آلاف جنيه ؟

قال (عزت) فى دهاء واضح :

ـــ إنه يقول إن المبلغ غير كاف ؛ لأنه بذل جهـــدا كبيرا لسرقة فتاحة الخطابات ، واستدراج (ســـالم) إلى حيث امرته ، وطعنه فى قلبه ، و ...

قاطعه (صالح) فى حنق ، وهو يلوح بكفه :

ـــ لا بأس .. لا بأس .. امنحه عشرة آلاف اخرى .

ثم استدرك فى حدة :

ـــ على الا يعود للمطالبة بقرش واحد .

انحنى (عزت) انحناءة كبيرة ، ثم عاد يعتدل قائلا :

ـــ هناك امر آخر يا سيدى .

ساله فى ضجر ونفاد صبر :

ـــ ما هو ؟

مال (عزت) نحـــوه ، كعادته كلما هم بالإدلاء بأمر بالغ الخطورة ، وقال :

ـــ هناك فتاة تجمع التحريات عنك منذ يومين كاملين .

رفع (صالح) عينيه إليه فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ فتاة ؟!.. اية فتاة ؟

اعتدل (عزت) ، وأجاب :

ـــ إنها محامية شابة ، تدعى (غادة) .

مط (صالح) شفتيه ، ولوح بكفه ، قائلا :

ـــ لا ريب أنها من كلفها المهندس الدفاع عنه .

عاد (عزت) يميل نحوه مرة اخرى ، هامسا :

ـــ ولكنها لا تجمع التحريات عن (صالح عثمان) ، رجل المقاولات الشهير ، بل عن زعيم العالم السفلى .

رفع (صالح) عينيه إليه فى حدة هذه المرة ، وهو يقول :

ـــ العالم ماذا ؟

كرر (عزت) :

ـــ العالم السفلى ..

ثم اضاف فى حزم :

ـــ اعنى انها تتحـــرى عن زعيم اكبر شبكات التهـــريب حاليا ، وملك تجارة العملة وإمبراطور المخدرات ، و ...

رفع (صالح) كفه فى عنف ، هاتفا :

ـــ كفى .

واشعل سيجاره ـــ المشتعل فعـــلا ـــ وهو يقـــول فى عصبية :

ـــ وكيف نبتت هذه الفكر فى راسها ؟ إن وزير الداخلية نفسه لا يشك فى امرى بمقدار خردلة .

قال (عزت) :

— يبدو ان لديها خيطا ما .

ران الصمت على الحجرة شديدة الفخامة ، بعد ان القى (عزت) عبارته الاخيرة ، وراح (صالح) ينفث دخان سيجاره فى عمق وقـــوة ، ثم لم يلبث ان اطفأ السيجار فى منفضـــة السجائر فى عنف ، وهو يقول :

— فليكن .. هى جنت على نفسها .

ثم استطرد فى صرامة :

— اتصـــل بـ (طومـــان) ، وابلغه اســـم وعنوان تلك المتحذلقة ، واخبره اننى اريد ان اقرأ خبر مصرعها فى صحيفة الغد .

واشعل سيجارا آخر ، وهو يضيف فى حدة :

— إننى اكـــره من يدسون انوفهم فى شئونى .. اكرههم للغاية .

وراح ينفث دخان سيجاره فى ثقة ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى الثامنة وعشر دقـــائق مساء ، حتى كان المبنى الرئيسى لإدارة شركات (صـــالح عثمان) قد خلا تماما من كل العاملين به ، إلا من رجال امن المبنى ، الذين راحوا يراجعون قوائم الانصراف ، ويفحصون الحجرات ، للتأكد من خلوها ، قبل أن يتم تشـــغيل جهـــاز الإنذار الإلكترونى ، الذى يحيط بالمكان كله ..

وفى الثامنة واثنتى عشرة دقيقة ، عبر بوابة المبنى ، التى لم يتم إغلاقها بعد ، رجل نحيل ، عريض المنكبين ، له شعر اكرت كث ، وشارب ضخم ، يكاد يخفى النصف السفلى من وجهه تماما ، ويرتدى ذلك الزى الأزرق ، ذا العلامة الحمراء المستديرة فى موضع القلب ، الذى يميز رجال امن المبنى ، فاستوقفه حارس البوابة ، وهو يساله فى شك :

— من انت ؟.. إننى لم ارك هنا من قبل .

رفع الحارس الجديد حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— لم ترنى من قبـــل ؟!.. عجبـــا !.. الم نلتق امس يا (سعيد) ؟

عقد الحارس حاجبيه ، وهو يتفرس فى ملامح الحارس الجديد ، محاولا تذكر ملامحه ، وهو يتمتم :

— امس ؟!

امسك الحارس الجديد ذراع القديم ، وجذبه إلى الداخل فى رفق ، وهو يقول مبتسما :

— دعنى اذكرك .. لقد التقينا امام المصعد ، و ..

وفجأة هوت قبضة الحارس الجديد على معدة (سعيد) فى قوة ، انثنى لها هذا الأخير المـــا ، وهو يهتف فى صوت مكتوم :

— إنك لست ..

وقبل ان يكمل عبارته ، قفزت قبضة الحارس إلى فكه ، فاجبرته على الاعتدال مرة اخرى ، قبل ان يندفع إلى الخلف مرغما ، ويرتطم راسه بالحائط ، والحارس الجديد يقـول فى برود :

ـ بالطبع انا لست ...

سقط (سعيد) فاقد الوعى ، فانحنى الحارس الجديد ، وجذبه فى قوة إلى ركن قصى ، بعيد عن الأعين ، ثم اعتدل مغمغما ، وهو يلقى بطاقة صغيرة على صدر الحارس :

ـ كان ينبغى ان تتخذ قرارك على الفور ، فالتردد ليس من سمات الحارس الناجح .

وفى هدوء ، اتجه نحو البوابة ، واوصدها فى إحكام ، ثم يمم وجهه شطر المصعد ، واستقله فى بساطة إلى الطـابق الثلاثين ..

حيث حجرة (صالح عثمان) الخاصة ..

وبلغ المصعد الطابق المنشود فى دقيقة او نحوها ، وغادره (نديم) ، الذى يرتدى زى حراس المبنى ، فى هدوء عجيب ،

وخطا فى بساطة نحو حجرة مكتب (صالح) ، ولكنه لم يكد يمد يده إلى مقبضها ، حتى ارتفع صوت صارم قاس يقول :

ـ مكانك يا رجل .. ساطلق النار عند اول حركة مريبة .

وفى بساطة وهدوء ، ادار (نديم) عينيـه إلى مصـدر الصوت ، ورأى امامه فوهة مسدس قاتلة ، وخلفها سبابة متحفزة لإطلاق النار ، فى حين ارتفع صوت صاحبها يستطرد فى غلظة :

ـ انت لست احد رجال الأمن هنا .. انا احفظهم جميعا عن ظهر قلب .

قال (نديم) فى هدوء :

ـ إننى حارس جديد .

ابتسم الحارس ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـ خطأ يا رجل .. إنما انت مجرد لص حقير .

وسرت إلى ابتسامته الشرسة موجة جذلة ، وهو يجذب إبرة مسدسه ، مستطردا :

ـ ولدينا هنا أوامرنا بقتل كل متسلل .. وبلا رحمة .

وضغط زناد مسدسه ..

* * *

جلست (غادة) فى حجرتها الخاصة ، فى مكتب (نديم) ، تدون المعلومات التى جمعتها عن (صالح عثمان) فى جهـاز الكمبيوتر ، الذى اقتناه (نديم) حديثا ، وعقلها منقسم ما بين تدوين المعلومـات ، والتفكير فيما يفعله (نديم) فى هـذه

اللحظة ، فى مبنى شركات (صـــالح) ، ولكن ذلك التفكير المزدوج لم يلبث أن ارهقها ، فتوقفت عن تدوين المعلومات ، وهى تزفر فى قوة ، وتقول فى حنق :

ـــ يا لها من حياة !.. لمـــاذا ينعم الجميع بحياة هادئة سوانا .

تطلعت مرة اخرى إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل ان تتمتم :

ـــ ربما لأننا نحن اخترنا هذا النوع من العمل ، او لأن ..

بترت حديثها بغتة وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحدق فى شاشة الكمبيوتر ، التى عكست صـــورة باهتة لأضـــواء الحجرة و ..

ولجسم يتحرك خلف (غادة) ..

وفى حركة حادة ، استدارت (غادة) بمقعـــدها الدوار ، تواجه ذلك الشىء المتحرك خلفها ..

وشـهقت فى قوة ..

كان ذلك الشىء عبارة عن رجل ضخم الجثة ، اصـــلع الراس تماما ، مفتول العضـــلات على نحـــو مخيف ، غليظ الملامح ، تطل من عينيه نظرة اشبه بنظرة كلب مسعور ، أو ذئب متعطش للدماء ..

وكان يمسك بيسراه خنجرا حادا ضخما ..

ومع التفاتتها ، زمجر ذلك الضخم (طومان) ، وانقض عليها ..

وهوى الخنجر على قلبها مباشرة ..

* * *

٤ ـــ وبدأ القتال ..

من المؤكد ان حياة (نديم) ، وعمله السابق فى الشرطة لم يذهبا هباء ، فالالتحاق بالشرطة يتطلب لياقة بدنية خاصة ، والتدريبات داخلها تنمى هذه اللياقة ، وتضيف إليها الكثير من المهارات والقدرات الجديدة ..

ثم إن (نديم) لم يكتف بكل هذا ..

لأنه ايضا لم يكتف بحياة تقليدية ..

لقد اضاف لمهاراته وليـاقته الكثير ، ممـــا يؤهله لخوض حياة الخطر ومكافحة الجريمة ، التى انتقاها لنفســـه ، وهو يحمل اسم (العقرب) ..

وعندما تتأزم الأمور ، كانت هذه المهارات الخاصة تبرز إلى السطح .. كما حدث فى تلك الليلة ..

لقد صوب الحارس مسدسه إلى (نديم) ، واطلق النار بالفعل ، إلا انه اضاع عامل المفاجأة بحديث مسرحى طويل ، لا فائدة منه ، سوى انه سمح لـ (نديم) بالتفكير فى الأمر ، والاستعداد له ..

وهكذا لم يكد الرجل يضغط زناد مسدسه ، حتى انزلق (نديم) بجسده إلى أسفل ، وترك الرصاصة تتجاوزه ، ثم اندفع بجسده نحو الحارس ، قبل ان يستعد هـــذا الأخير

لإطلاق رصاصة أخرى ، وركل المسدس من يده ، وهـــو يقول :

ـــ دعنا نتخلى عن الألعاب النارية أولا يا رجل .

ثم هوى على فكه بلكمة عنيفة ، مستطردا :

ـــ ودعنا نختبر مهارتك اليدوية .

استشاط الحارس غضبا ؛ لفقدانه مسدسه ، واعتدل وهو يدعك فكه ، محاولا إزالة آلام اللكمة ، وهو يقول فى غيظ :

ـــ ربما تشعر بالندم ، عندما تختبرها أيها الحقير .

بدا (نديم) شديد الهدوء والثقة ، وهو يقول :

ـــ من يدرى ؟

أطلق الحارس صرخة غضب ، وهو ينقض على (نديم) ، ويكيل له لكمة كالقنبلة فى فكه ، تفاداها (نديم) بانحنـــاءة رائعة ، وهو يقول :

ـــ انقضاضة خاطئة .

ثم هـــوى بدوره على فك الحارس بلـــكمة ســـاحقة ، مستطردا :

ـــ لو أنك درست فنون القتال بحق ..

واعقبها بثانية فى أنف الرجل ، متابعا :

ـــ لأدركت أنه ينبغى أن تهاجم من اليسار .

وهوى بثالثة على معدة الحارس ، وهو يقول :

ـــ لأن الحائط إلى يمينى .

وانتهت المعـــركة بلـــكمة كالقنبلة ، هـــوت على رأس الحارس ، وضربته بالحائط ، ليسقط فاقد الوعى ، و (نديم) يردف :

ـــ وكنت سأرتطم به هكذا .

ترك الحارس يسقط فاقد الوعى فى هدوء ، كما لو أن الأمر لا يعنيـــه ، ودفع باب مكتب (صـــالح) ، ودلف إليـــه فى بساطة ..

كان مكتبـــا شديد الفخامة بحق ، ولكن ما لفت انتبـــاه (نديم) فيه هو الضخامة المبالغ فيها ، لحجم المكتب الخشبى ، الذى يحمل اسم (صالح عثمان) بحروف من ذهب ..

كان من الواضح أن (صالح) فاحش الثراء ، شديد الثقة بنفسه ، حتى أنه لم يحاول إغلاق حجرته الخاصة بنظام أمنى محكم ..

وفى هدوء ، اتجه (نديم) نحـــو المكتب الضخم ، وراح يفحصه فى روية وإمعان ، حتى تمتم :

ـــ لمـــاذا كل هذا السمك يا (صالح) ، ما دامت أدراج مكتبك نحيله إلى هذا الحد ؟

ضاعف هذا من اهتمامه بفحص المكتب ، حتى انتبه إلى

ذلك الشق الرفيع ، المصنوع بحيث يبدو كجـزء من نقوش المكتب البارزة ، فمرر اصابعه عليه ، وقال :

ـ هذا هو السبب إذن .. مخبأ سرى خاص فى اعمـاق المكتب .. لمـاذا يحتـاج رجـل مثـلك إلى مخبـأ خاص يا (صالح) ؟.. لا ريب انك تحتفظ فيه بمستندات غاية فى الخطورة .. مستندات قد تدينك مثلا ، أو ...

قبل ان يتم عبـارته ، دوى فجأة صـفير إنذار فى المبنى كله ، وارتفع صوت عبر المكبرات المنتشرة يقول :

ـ انتباه للجميع .. هناك دخيل فى المبنى ، ويرجح انه قد صعد إلى حجرة الرئيس .. اغلقوا كل الأبواب إليكترونيا ، وابحثوا عن الدخيل باقصى سرعة .

وقبل ان يتحرك (نديم) من مكانه ، راى رتاجا إليكترونيا يندفع ليغلق باب حجرة (صالح) من الداخل ، وسمع صوتا مشابها من الخارج ..

لحظتها ادرك ان (صالح) ليس غرا او مبتدئا ..

لقد اصبح هو سجينا فى وكر غريمه ..

واطبقت عليه المصيدة أبوابها ..

بلا رحمة ..

* * *

كانت انقضاضة (طومان) على (غادة) أشبه بانقضاضة ثور هائج على غزال شارد صغير ، إلا ان (غادة) ، على الرغم من حجمها ، لم تكن لتوصف ابدا بالغزال الشـارد المسكين ..

ولقد ادرك (طومان) هذا جيدا ..

لقد انقض عليها بجسده الضخم ، وهوى بخنجـره على قلبهـا بكل الوحشـية والقسـوة والشراسـة ، ولكن (غادة) استقبلته بركلة كالقنبلة فى وجهه ، وهى تقول ، فى لهجة لها طعم ساخر لاذع :

ـ مهلا ايها الدب الغبى .. ليس من اللياقة ان تهاجم امراة .

ثم قفزت من مقعدها ، ودفعت قدمهـا الاخرى فى معدته ، مستطردة :

ـ خاصة وان احذية النساء لها كعب حاد مؤلم .

صرخ (طومان) فى غيظ والم :

ـ لا أحد يهزم (طومان) .

قالها وهو يهوى بخنجره على عنقها ، ولكنها افلتت منه فى رشاقة ، وتركته يطعن الهـواء بخنجره ، فيختل توازنه ، ويرتطم بمنضدة الكمبيوتر فيسقط معها ارضا ، وهتفت هى فى حدة :

ـ ايها الوغد .. لقد افسدت عمل يوم كامل .

قفز (طومان) واقفا على قدميه ، وقد بلغ غضبه ذروته ، ولم يحتمل ان تهزمه امراة وتسـخر منه ، وهو الذى قطع أعناق اعتى الرجال ، فصرخ وهو يركل شاشـة الكمبيوتر بقدمه ، ويحيلها إلى شظايا وفتات :

— فليذهب عملك إلى الجحيم .

صاحت به فى غضب :

— ستدفع ثمن هذا الجهاز الجديد .

أحاله اســـتهتارها به إلى وحش ثائر مفترس ، انقض عليها ، وهو يصرخ ويزمجر كليث جريح ..

ولكن (غادة) انحنت فى خفة ، وقفزت جانبا فى رشاقة ، وقالت ساخرة :

— مستحيل يا رجل .. الثيران لا تقتنص الغزلان بهـــذه البساطة ..

التفت إليها ، وقلب خنجرة ، ليمسك نصله ، ويرفع يده عاليا ، وقال فى شراسة مخيفة :

— من قال هذا ؟.. هناك عشرات الطرق للقنص .

والقى الخنجر فى مهارة مذهلة ، واخترق الخنجر هـــواء الحجرة ، بصرير حاد مخيف ، وهو يتجه كالرصاصة نحـــو عنق (غادة) ..

وفجاة أثبتت (غادة) انها ليست ذلك الغزال الصغير ..

لقد انتزعت مسدسها من جيب ثوبهـــا ، واطلقت منـــه رصاصة محكمة ، أصابت الخنجر الطـــائر ، واجبرته على تغيير مساره على الرغم من نصله ..

واتسعت عينا (طومان) فى ذهـــول ، وهـــو يحدق فى المسدس والفتاة ، التى ابتسمت فى سخرية ، وهى تصوب مسدسها إليه ، قائلة :

ـــ مفاجاة .. اليس كذلك ؟

بقى الوضع ثابتا صامتا لحظة ، كصورة فوتوجرافية جامدة ، قبل ان يلتقط (طومان) مقعدا بغتة ، وهو يقول فى حدة :

ـــ إليك مفاجاتى ايضا .

قفزت (غادة) جانبا ؛ لتتفادى المقعد ، الذى القاه (طومان) نحوها بغتة ، وهتفت فى حزم :

ـــ لا تتحرك وإلا .

ولكن (طومان) كان قد تحرك بالفعل ، واندفع نحو الباب كالصاروخ ، وغادر الحجرة والمكتب كله ركضا ، فاندفعت (غادة) خلفه ، هاتفة :

ـــ انتظر .

ولكن هيهات ..

لقد كان الرجل ينجو بحياته ..

ويفر من هزيمته ..

ولقد صوبت إليه هى مسدســـها بالفعل ، وهـــو يعـــدو هابطا ، وكادت تطلق النار على راسه مباشرة ، لولا ان رسم عقلها صورة للنتائج المتوقعة ، فانكمش على نفسه ، وجعلها تغمغم :

ـــ لست اظننا نسعى لجلب متاعب الشرطة الآن .

واعادت مسدسها إلى جيبها ، وهى تتـــابع (طومان) ، الذى غادر المبنى مندفعا ، وابتسمت فى سخرية ، مستطردة :

ـــ فمن الواضح اننا قد اثرنا غضب (صالح عثمان) .. حتى الجنون .

* * *

كانت المصيدة محكمة حول (نديم) تماما ..

الأبواب كلا مغلقة إلكترونيا ..

الحراس ينتشرون فى كل ركن ..

اجهزة الإنذار متحفزة للعمل ..

كل الظروف ضد نجاحه ..

ولكنه بقى هادئا ..

كانت هذه أهم مميزاته ..

الهدوء والشجاعة ، حتى فى احلك اللحظات ، واشدها خطرا ..

وفى بساطة ، وكأنما يشاهد فيلما هزليا ، راح (نديم) يدير عينيه فيما حوله ، حتى توقف بصره عند النافذة ، فقال :

ـــ هناك ثغرة على الأقل .

حمل مقعـــدا صغيرا ، واتجه به نحـــو النـــافذة ، وهو يستطرد :

— ومن حسن الحظ اننا فى الطابق الاخير .

حطم زجاج النافذة بضربة قوية من المقعد ، ثم اطل براسه منها ، وتطلع إلى اسفل ، حيث بدا له الاشخاص والاشياء كنقاط صغيرة ، وعاد يرفع راسه إلى اعلى فى هدوء ، ورأى حافة رفيعة للسطح ، تبعد عنه بمتر واحد ، فغمغم :

— نعم .. هناك فرصة للنجاة .

وقفز واقفا على حافة النافذة ، التى ترتفع ثلاثين طابقا عن الارض ، وراح يقيس المســـافة التى تفصـــله عن تلك الحافة الرفيعة ..

وفجأة انفتح باب حجرة مكتب (صـــالح) ، واندفع عبره رجلان مسلحان ، هتف أحدهما ، وهو يرفع مسدسه نحو (نديم) :

— ها هو ذا الدخيل .

واطلق النار ..

* * *

٥ — السـقوط ..

كانت عملية دقيقة للغاية ..

وبالغة الخطورة ..

لقد تحفزت عضلات (نديم) كلها ، عندما اقتحم الرجلان الحجرة ..

وفى نفس اللحظة التى اطلق الرجل فيها الرصاص ، قفز (نديم) ..

قفز إلى أعلى ، نحو الحافـــة الرفيعـــة ، وســـمع أزيز الرصاصة ، وهى تمرق بين قدميـــه ، وجســـده معلق بين السماء والأرض ..

على ارتفاع ثلاثين طابقا ..

ولامست اصابعه الحافة الرفيعة ..

وتشبثت بها ..

وصرخ الحارس :

ـــ قف أيها الدخيل .. لا مهرب لك .

ولكن (نديم) تجاهـــله تمامـــا ، ودفع كل عضـــلاته إلى الانقباض ، ليرفع جسده إلى أعلى ..

إلى سطح المبنى ..

واندفع الحارسان نحـــو النافذة ، واطلقا رصاصتين بلا هدف ، نحو البقعة التى اختفى فيهـــا (نديم) ، ثم صـــاح أحدهما برفيقه :

ـــ لقد وضع نفسه فى فخ اكثر إحكاما .. اتجه مع (مندور) إلى باب السطح ، ولا تسمحا لذلك الدخيل بمغادرة السطح أبدا ، وسأرسل انا كل الرجال إلى هناك .

هتف رفيقه ، وهو يعدو لتنفيذ الأمر :

ـــ وماذا لو وجد مخرجا ؟

صاح به الأول فى غلظة :

ـــ كف عن حماقتك هذه .. كلنا نعلم ان المخرج الوحيد من السطح هو بابه ، وهليوكوبتر السيد (صالح) ليســـت هنا ، ولن يتبقى أمام ذلك الدخيـــل إلا ان يقفز من ارتفـــاع ثلاثين طابقا .

وابتسم فى سخرية ، مردفا :

ـــ وسيكون هذا من سوء حظه .

* * *

قفز (عزت) ، مدير مكتب (صالح عثمان) من مقعده ، مع رنين هاتفه ، والتقط سماعة الهاتف فى لهفة ، وهو يقول :

ـــ أنا (عزت) ، من المتحدث ؟

انعقد حاجباه فى غضب ، عندما سمع صـــوت محدثه ، وقال فى عصبية :

ـــ ماذا تريد يا (جابر) ؟.. إننى انتظر محادثة هامة من (باريس) .

بدا التوتر فى ملامحه ، وهو يستمع إلى (جابر) ، قبل أن يقول فى حدة :

ـــ دخيل ؟!.. ماذا تعنى ؟.. كنت اظن ان المبنى محصن تماما ضد اى دخيل ، واى ..

قاطعه (جابر) فى انفعال :

ـــ ولكننا اوقعنا به يا سيدى ، وحاصرناه فى السطح .

قال (عزت) فى حدة :

ـــ ماذا تريد منى إذن ؟.. تخلصوا منه على الفور .

سأله (جابر) فى تردد :

— إننى أسأل عما إذا كان ينبغى ان نقبض عليه حيا أم ..

قاطعه (عزت) فى عصبية :

— القوا به من اعلى المبنى ايها الغبى ، واخبر الشرطـــة فيما بعد انه قد القى نفسه خوفا من الاعتقال .. ينبغى أن يتعلم الجميع ان هذا مصير كل من تسول له نفسه اقتحام صومعة (صالح عثمان) .

وانهى الاتصال فى حنق ، وهو يستطرد :

— هؤلاء الأغبياء .. إننى انتظر اخبار صفقة بنصف مليون دولار .

وبدا انفعاله ممتزجا بتوق إلى الشـــهوة للمـــال ، وهو يستطرد :

— صفقة خاصة .

وبدت ابتسامته اشبه بابتسامة ذئب ..

ذئب مفترس ..

* * *

اجتمع رجال امن مبنى (صالح عثمان) عند الباب المؤدى للسطح ، وقال رئيسهم (جابر) ، وهو يجذب مشط مسدسه ، ويتحفز للقتـــال :

— سنهاجم جميعا دفعة واحدة ، ولكن حذار من إطـــلاق النار عليه .. ينبغى أن نلقى القبض عليه حيا ، قبل أن نلقى به من فوق المبنى .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردا :

— فمن الضرورى الا يجد الطبيب الشرعى اية إصابات فى الجثة ، سوى إصابات السقوط من ارتفاع ثلاثين طابقا .

قالها وجذب فى صدره نفسا عميقا ، ثم أشار بكفه ، قائلا فى حزم :

— هيا .

اقتحم الرجال كلهم الســـطح ، وشهروا مسدساتهم .. ولكن ..

كان السطح خاليا تماما ، إلا من الهليوكوبتر الصغيرة ، التى تحمل شعار شركات (صالح عثمان) ، فالتفت الرجال إلى (جابر) فى حيرة ، وقال هذا فى توتر ، وهو يشير إلى الهليوكوبتر :

— إنه يختفى هناك حتما .

اندفع الرجال نحو الهليوكوبتر ، وراحوا يدورون حولها ، وقد تضاعفت حيرتهم ، وراحوا يتبادلون نظرات الدهشـــة والتوتر ، وغمغم (مندور) :

— اقسم إنه قد صـــعد إلى السطح ، لقد رايته بنفسى ، انا و ...

بتر عبارته ، وكأنما لم يجد ما يضيفه إلى عبارته ، فى حين تمتم (جابر) فى توتر :

— مستحيل !!.. الوسيلة الوحيدة للفرار من هنـــا هى الطيران ، ووســـيلة الطيران الوحيدة هنـــا ما زالت على الأرض .

وتطلع فى حيرة إلى الأرض ، من ذلك الارتفاع الشاهق ، وهو يضيف :

— ما ام يمتلك ذلك الرجل جناحين .

وبدت عبارته هذه عجيبة ..

ومخيفة ..

* * *

انهمكت (غادة) فى ترتيب المكتب ، الذى قلبه صراعها مع (طومان) راسا على عقب ، حتى انها لم تكد تشـعر بوقع اقدام خلفها ، حتى قفزت واقفة على قدميهـا ودارت على عقبيها فى حدة ، ثم لم تلبث ان زفرت فى قـوة ، عندما وقع بصرها على (نديم) ، وهتفت :

— كدت أطلق النار على راسك .

ادار عينيه فيما حوله ، قبل أن يسالها فى هدوء :

— ماذا حدث هنا .. معركة ؟!

تطلعت إليه (غادة) فى دهشة ، ثم قلدت اسلوبه ولهجته ، وهى تكرر :

— ماذا حدث ؟.. معركة ؟.. يا له من برود فاق البرود الإنجليزى التقليدى !.. الا ترى كل ذلك الدمـار ؟.. هل تتصور ان هذا قد حدث ؛ لاننى عطست بقوة مثلا ؟

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجلس على اقـرب مقعـد إليه ، ولكن ابتسامته الشحيحة هـذه لم تلبث ان تلاشت ، وهو يسألها فى جدية :

— هل تشاجرت مع احد ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، وهى تقول :

— بل مع فيل .

وراحت تقص عليه تفاصيل ما حدث لها مع (طومان) ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، حتى انتهت ، فقال :

— هذا يعنى أن جمعك المعلومات حول (صالح عثمان) قد أثار حنق هذا الأخير ، ودفعه إلى التخلص منك .

قالت مكملة :

— ويعنى أيضا أن ما يخفيه (صالح) يفوق حتى ما يعلمه عنه العالم السفلى .

ثم بدا وكأنها قد تذكرت امرا ما بغتة ، وهى تسـأله فى اهتمام مفاجىء :

— قل لى أنت : ماذا فعلت فى مبنى (صالح عثمان) ؟

ابتسم ابتسامته الشاحبة ، التى تتلاشى بأسرع مما تولد ، وقال :

— كانت مغامرة طريفة .

راح يقص عليهـا كل ما حدث ، حتى بلغ نقطة هجـوم (جابر) و (مندور) عليه فى حجرة (صـالح) ، وقفزه إلى السطح ، فهتفت به فى انفعال :

— يا إلهى !.. وماذا فعلت ؟

اجابها فى هدوء :

— هربت .

هتفت فى سخرية :

— هربت ؟!.. يا للبساطة !.. إن من يحصل على رغيف طازج من الخبز ، يمتلك قصة مثيرة افضل من قصة فرارك هذه .. هل تجد أن هروبك من ذلك المأزق أمرا بســيطا ، حتى تكتفى فى شرحه بتلك الكلمة المقتضبة السخيفة ؟

قال فى بساطة :

— الواقع ان الفرار كان ابسط مما تتوقعين ، ومما تصور هؤلاء الأوغاد .

هتفت فى دهشة :

— كيف ؟.. لقد كنت محاصرا على الســطح ، وليست امامك وسيلة للفرار ، وكل رجال (صالح) تقريبا يقطعون الطريق الوحيد للفرار ، فكيف تهرب ؟.

هز كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— خمنى .

تطلعت إليه فى حيرة ، ولم تنبس ببنت شفة ..

وخيل إليها — على الرغم من هدوء ملامحه ان عينيه تحملان ضحكة ..

ضحكة ساخرة ..

* * *

« يا له من ثعلب !.. » .

نطقها (صالح عثمـــان) فى هدوء ، يخفى الكثير من ثورة اعماقه ، وهو يتابع شاشة تليفزيون كبيرة ملونة ، تعرض فيلما تم التقاطه لـ (نديم) دون أن يشعر هو نفسه ، وتابع وهو ينفث دخان سيجاره فى قوة :

— انظر يا (عزت) .. لقد انتظـــر حتى غادر (جابر) و (مندور) الحجرة ، ثم عاد إليهـــا ، وها هو ذا يترك تلك البطاقة فوق مكتبى ، وينصرف فى هدوء مثير للأعصـــاب ، دون أن يعترضه أحد ، حتى يبلغ الباب السفلى ، فيعطل اجهزة الإنذار ، وينصرف فى بساطة ، كما لو انه يغادر منزله الخاص .

عقد (عزت) حاجبيه ، وهو يقول :

— إنه وغد جرىء .

قال (صالح) فى توتر :

— وطاقم حراسى من الأغبياء الحمقى ، وكل ما فعله هو ان استغل حماقتهم ، وتركهم يندفعون جميعا إلى الســطح بلا ترو ، فى حين عاد هو ادراجه إلى المكان الوحيد ، الذى لا يتصورون عودته إليه ، ليجد الطــريق امامه خاليــا إلى الخارج .

ونفث دخان سيجاره مرة اخرى فى حدة ، قبل ان يضيف :

— ومن حسن حظنا انه لم يكن يعلم بوجود آلات التصوير السرية ، التى تعمل فور فتح الباب .

جلس (عزت) ، وهو يقول فى قلق :

— ولكن لمــاذا فحص المكتب .. مستحيل أن يكون على علم بوجود المخبإ السرى أسفله !

مط (صالح) شفتيه ، وقال :

— من يدرى ؟

ثم أضاف فى حزم :

— اسمع يا (عزت) .. اريد نسخ كل ما لدينا ، بجهاز نسخ الكمبيوتر ، وعمل اسطوانة كمبيوتر تحوى صــور كل الوثائق ، ثم إعدام الوثائق كلها .

ابتسم (عزت) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

— فكرة رائعة يا (صالح) بك .

ثم أضاف وهو ينحنى على نحو مبالغ فيه :

— معذرة يا (صالح) بك ، ولكن لدى خبر سىء .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

— اسوأ مما حدث ؟

تنحنح (عزت) ، وقال :

— لست ادرى فى الواقع ، ولكن (طومان) فشــل فى القضاء على المحامية الشابة .

هتف (صالح) فى غضب :

— فشل ؟!.. هل اصبح فاشلا إلى حد العجز عن القضاء على امراة ؟

قال (عزت) :

— إنه يقول إنها قد فاجأته بكونها امراة غير عادية ، وبأنها مقاتلة شرسة ، حتى انها قد اطاحت بخنجره برصاصة واحدة من مسدسها ، من بعد ثلاثة امتار ، ولقد دفعنى هــذا إلى طلب بعض التحريات عنها ، ولقد علمت انها شرطية سابقة ، وانها شريكة فى مكتب محاماه يملكه شرطى سابق ايضــا ، يحمل اسم (نديم فوزى) .

صمت (صالح) تماما ، وهو يستمع إلى (عــزت) ، ثم هز رأسه ، وكأنما يحاول استيعاب كل كلمة ، وقال :

— شرطية سابقة ؟.. هــذا يعنى ان (طومان) الغبى لا يصلح للتخلص منها .

وابتسم ابتسامة مخيفة ، وهو يضيف :

— إنها تحتاج إلى (لوسى) .

تألقت عينا (عزت) ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا سيدى .. إنها تحتاج إلى (أوسى) ، التى ندخرها لمثل تلك المهام .

هز (صالح) كتفيه ، وقال :

— إنها صاحبة أسلوب متميز ، لم تألفه (مصر) من قبل ، ولم تألفه شرطتها ، مما يجعل مهماتها ناجحة دوما .. إنها فى الواقع تستحق ذلك الأجر الباهظ الذى تتقاضاه .

أومأ (عزت) برأسه موافقا ، ثم عاد يسأل رئيســـه فى اهتمام :

— ولكن ماذا عن ذلك الدخيل المجهول ؟

تطلع (صالح) إلى شاشـــة التليفزيون ، التى تعرض للمرة العشرين صور (نديم) بزيه التنكرى ، وهـــو يقتحم الحجرة ، ثم نقل بصره إلى تلك البطـــاقة البيضـــاء ، التى تحمل فى منتصفها رسما لعقرب ذهبى ، وعاد يرفع عينيـــه إلى (عزت) ، قائلا :

— سنفعل ما يفعله اى مواطن شريف ، فى مثل هـــذه الأمور يا (عزت) .

وابتسم ابتســـامة تحمل كل خبث الثعالب ، وشراســـة الذئاب ، وهو يستطرد فى سخرية :

— سنبلغ الشرطة .

* * *

٦ ــ حصـــار ..

تألقت عينا العقيد (مجدى) ، وهو يتطلع إلى البطـــاقة البيضاء ، التى تحمل رسم العقرب الذهبى ، وقال فى حدة تحمل كل انفعالاته :

— إذن فقد عاد .

سأله (صالح عثمان) فى اهتمام :

— من هذا الذى عاد ؟

أجابه (مجدى) فى انفعال :

— (العقرب) .

عقد (صالح) حاجبيه ، وهو يقول فى حيرة :

ـــ (العقرب) ؟!.. من هذا (العقرب) ؟

قال (مجدى) فى حدة ، وهو يلوح بالبطاقة :

ـــ إنه شاب يظن نفسه أقوى من الشرطة كلهـــا ، وانه (زورو) المصرى ، حامى حمى الحق والفضيلة .

ثم اردف وهو يضم قبضته فى غضب :

ـــ ولكننى سأوقع به هذه المرة .. اقسم ان افعل .

واندفع يستطرد فى حماس :

ـــ قل لى يا سيد (صـــالح) : هل يمكننى رؤية شريط الڤيـــديو ، الذى سـجلته اجهـزتك السريـــة ، لحـــادثة الاقتحام ؟

قال (صالح) :

ـــ بالتاكيد .. إننى دوما فى خدمة القانون والعدالة .

صحبه إلى حجرة جانبية ، احتشدت بأجهزة إليكترونية معقدة ، وقال لشاب يجلس امام احد هذه الأجهزة :

ـــ ادر الشريط .

ادار الشاب الشريط كله ، وراح (مجـــدى) يتابعه فى انفعال شديد ، وهو يقول :

ـــ إنه هـــو .. لقد تعرفته ، على الرغم من الشـــعر المستعار والشارب ..

إنه هو .

ساله (صالح) فى عصبية هذه المرة :

ـــ من هذا ؟

اشار (مجدى) إلى صورة (نديم) على الشاشة وهو يقول :

ـــ (العقرب) .. ها هو ذا .

أمسك (صالح) معصم (مجدى) بغتة ، وهو يقـــول بلهجة تشف عن نفاد الصبر :

ـــ اسمع ايها العقيد : إننى اكره الغموض ، واكره اكثر ان استمع إلى الاحاديث المبهمة .. من الواضح انك تعرف من (العقرب) هذا ، فلماذا لا تخبرنى عن اسمه ؟

تطلع إليه (مجدى) لحظات فى دهشة ، ثم لم يلبث ان قال فى انفعال :

ـــ معذرة يا سيد (صـــالح) .. كان ينبغى ان اخبرك بالفعل .

ثم مال نحوه ، مستطردا :

ـــ إنه شرطى سابق يدعى (نديم) .. (نديم فوزى) .

تألقت عينا (عزت) ، عندما سمع الاسم ، وتبـــادل مع (صالح) نظرة مفعمة بالانفعالات ، قبل ان يسأل (مجدى) فى اهتمام بالغ :

— اتقصد المحامى (نديم فوزى) ؟

قلب (مجدى) شفتيه فى ازدراء ، ولوح بكفه ، قائلا :

— هو نفســـه .. لقد فصـــله السيد وزير الداخلية من صفوف الشرطة ؛ لأنه يدس انفه دوما فيما لا يعنيه ، ويتجاوز القواعد والقـــانون ، ولقد حاول ان يحصـــل على ترخيص بافتتاح مكتب خاص للتحرى ، ولكننى رفضت طلبه ، فما كان منه إلا ان افتتح مكتبا للمحاماة ، وصنع لنفسه زيا اشبه بزى (زورو) الأسطورى ، وراح يقحم نفسه على عالم مكافحة الجريمة .

سأله (صالح) فى انفعال :

— ولمـــاذا لم تلق الشرطة القبض عليه ؟

قال (مجدى) فى حنق :

— لأننـــا لا نملك دليـــلا يثبت ان (نديم فوزى) هـــو (العقرب) .

ثم التفت إلى (صالح) ، مستطردا فى لهفة :

— ولكنك صديق شخصى للسيد وزير الداخلية يا سيد (صالح) ، ويمكنك إقناعه باعتقال (نديم) هـــذا .. اليس كذلك ؟

تمتم (صالح) ، وهو ينفث دخان فى بطء :

— بالتاكيد يمكننى ذلك .

ولكنه لم يلبث ان استدرك فى سرعة :

— ولكننى افضل الأسلوب القانونى بالطبع .

عقد (مجدى) حاجبيه فى ضيق ، وهو يردد مرغما :

— بالطبع .

ثم اضاف فى برود :

— هل يمكننى الحصول على صور ثابتة من هذا الفيلم ؟

اجابه (صالح) :

— بالتأكيد .

ثم اشار إلى الشاب الجالس امام الأجهزة ، فضغط الشاب زرا صغيرا ، وانتظر بضع لحظـــات ، حتى برزت صورة فوتوجرافية ملونة ، من تجويف خاص اسفل جهاز العرض ، تحمل لقطة واضحة لوجه (نديم) المتنكر ، فالتقطها الشاب ، وناولها إلى (مجدى) ، الذى حدق فيها بدهشـــة ، جعلت (عزت) يغمغم :

— إنها التكنولوچيا .

التقط (مجدى) الصورة ، ودسها فى جيبه ، قائلا :

— نعم إنها التكنولوچيا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة تشف ، وهو يستطرد :

— ويمكنك ان تطمئن يا سيد (صالح) .. سأوقع هذه المرة بـ (العقرب) .. حتما .

* * *

ركضت والدة المهندس المتهم (احمد) خلف (نديم) ، وهو يغادر قاعة المحاكمة ، فى ثوب المحاماه الأسود الفضفاض ، وتشبثت بذراعه ، قائلة فى توتر :

— لمـــاذا طلبت تأجيل المحاكمة فى الجلسة الأولى ؟

توقف (نديم) ، والتفت إليها ، قائلا فى هدوء :

— اطمئنى يا سيدة (نوال) .. التأجيل لصالحنا هذه المرة ، فلابد لى من دراسة ملف القضـــية جيدا ، والبحث عن ثغرة يمكن استغلالها لتبرئة ابنك .

قالت فى انفعال :

— ولكن التأجيل يعنى ان يبقى ابنى وقتا اطـــول خلف القضبان .

تطلع (نديم) إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

— هذا افضل من ان يتدلى من حبل المشـــنقة .. اليس كذلك ؟

ارتجفت لمجرد تصور الأمر ، وتمتمت فى حزن :

— اعذرنى يا سيد (نديم) ، ولكننى ام .

ربت على كتفها فى حنان ، وهو يقول فى حزم :

— اطمئنى ..

لم تكن الكلمة تعنى الكثير ، فى مثل هذه الظروف ، ولكن اللهجة الواثقة ، التى نطقها بها (نديم) ملأت قلب السيدة ، وبعثت فيه شيئا من الدفء ، جعلها ترفع عينيها وتتطلع إلى عينى (نديم) لحظة ...

وفى هذه اللحظة قرات فى عينيه الكثير ..

وفجأة خامرها شعور قوى بأن ابنها فى أمان ..

وبانه لن يدان ابدا ..

وفجأة ايضا ارتفع من خلف كتفى (نديم) صـوت حنون يقول :

ـــ اطمئنى بالفعل يا سيدى ، فـ (نديم) ليس مجرد محام .

التفت (نديم) يتطلع إلى وجه اللواء (حلمى) ، الذى تابع فى هدوء :

ـــ اعنى انه محام من نوع خاص .

لم يبتسم (نديم) كعادته ، ولكن السعادة بدت واضحة فى عينيه ، وهو يقول :

ـــ سيدى .. كم يسعدنى ان اراك هنا .

ربت اللواء (حلمى) على كتفه ، وهو يقول :

ـــ يسعدنى دوما ان التقى بك يا ولدى .. قل لى : كيف حال قضيتك هذه ؟

اجابه (نديم) فى هدوء :

ـــ صعبة .. ولكنها ليست مستحيلة .

اشار إليه اللواء (حلمى) ، وهو يقول :

ـــ انت الوحيـد الذى يمكنه ربح مثل هـذه القضـية يا (نديم) .

وصمت لحظة ، ثم اردف فى خفوت :

ـــ خاصة لو استعنت بصديقك (العقرب) .

قال (نديم) فى هدوء ، دون ان يحمل وجهه ادنى انفعال :

ـــ لقد استعنت به بالفعل يا سيدى .

التمعت عينا اللواء (حلمى) لحظة ، قبل ان يقـول فى ارتياح :

ـــ كنت واثقا من انك ستفعل .

نقلت السيدة (نوال) بصرها بينهما فى حيرة ، ثم سألت اللواء (حلمى) فى قلق :

ـــ هل سينجو ولدى يا سيدى ؟

قبل ان تنفرج شفتا اللواء (حلمى) عن حـرف واحد ، ارتفع صوت صارم يقول فى غلظة :

ـــ مطلقا .

اجفلت السيدة (نوال) ، وهى تدير عينيها فى جزع إلى (مجدى) ، الذى تابع فى حدة ، وهو يتجه نحوهم :

ـــ الق القبض على هذا الشاب يا سيادة اللواء ، فهـو مجرم يقتحم الأماكن الخاصة عنوة .

نقل اللواء (حلمى) بصره بين وجه (مجدى) الظـافر الشامت ، ووجه (نديم) الهادىء ، الذى لا يشف ابدا عما يعتمل داخله ، وغمغم :

ـــ حقا ؟!

اما (نديم) ، فقال فى برود :

ـــ اى قول هذا ايها العقيد ؟

قال (مجدى) فى صرامة :

ـــ القول الفاصل .. إننى احمل دليلا هذه المرة .

واخرج من جيبه الصورة ، وهو يقول :

ـــ لقد زود السيد (صالح عثمان) حجرته بآلات تصوير خاصة ، تعمل فور فتح الباب ، وتلتقط فيلما كاملا للمقتحم ، حتى لو راح يعمل فى الظلام .

تطلع (نديم) واللواء (حلمى) إلى الصورة ، وقال (نديم) فى هدوء :

ــ اهذا هو الدليل ؟

هتف (مجدى) :

ــ إنه دليل قاطع .. يكفى أن نأتى بصورة لك ، ونضيف إليها شاربا كثا ، وشعراً غزيرا خشنا ، وستجد انك صورة طبق الأصـــل من هذا المقتحم ، الذى ترك خلفـــه بطـــاقة (العقرب) .

أعاد إليه (نديم) الصورة فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إنه مجـــرد تشابه ، واى وكيل نيابة مبتـــدىء هنـــا سيخبرك ان هـــذه الصورة لا تعد دليـــلا ، باى حـــال من الأحوال ، حتى ولو كانت صورتى انا ، لا صورة ذلك السيد الذى يشبهنى ؛ لأن ملتقطها لم يحصل على إذن من النيابة بالتقاطها ، ثم إن الصورة توضح أن ذلك السيد يرتدى نوعا من القفازات المطاطية ، التى يرتديها الجراحون ، وهذا يعنى انك لن تجد بصمة واحدة فى مكان الاقتحام .

ومال نحوه ، مستطردا فى برود مثير :

ــ وهذا يعنى انه ما من دليل قانونى يدين اى مخلوق .

احتقن وجه (مجدى) ، وهتف :

ــ ولكنك انت (العقـــرب) ، وسأثبت يومـــا انك ذلك المجرم .

قال (نديم) فى هدوء شديد ، وإن التمعت عيناه فيمـــا يشبه الجذل :

ــ إذن فانت تهددنى على نحـــو واضـــح ، وفى وجـــود شاهدين .. اتعلم ان هذا يمنحنى الحق فى ان اقاضيك بتهمتى السب العلنى واستغلال السلطة ؟

ازداد احتقان وجه (مجدى) ، وهو يقول :

ــ اسخر ما شئت أن تفعل أيها (العقرب) ، ولكن لتعلم انك لا تواجه خصما عاديا هذه المرة ، وإنما تواجه (صالح عثمان) ، اكبر رجل اعمال فى (مصر) ، والصديق الشخصى للسيد وزير الداخلية ، ولقد تقدم السيد (صالح) بشكوى رسمية ، بخصوص اقتحام مكتبه ، ولقـــد اخبرته انا انك المشتبه فيه رقم واحد ، ولست اظنه سيقف موقفا سلبيا فى هذا الشأن .

بدا القلق على وجه اللواء (حلمى) ، فى حين قال (نديم) فى هدوء :

ــ لا .. لست اظنه سيفعل .

هتف (مجدى) فى لهجة أقرب إلى الشماتة ، وهو يبتعد :

ــ صدقنى أيها (العقرب) .. لقد وقعت هذه المرة .. سيحاصرك (صالح عثمان) حصارا لا فكاك منه .. لقـــد وقعت بحق .

وارتجف قلب اللواء (حلمى) قلقا ..

* * *

٧ ــ زائر غامض ..

دلف (عـزت) إلى مكتب (صـــالح) ، وهـــو يحمل اسطوانتى كمبيوتر رفيعتين ، سلمهما إلى (صالح) ، وهو يقول :

ــ ها هى ذى كل الوثائق يا سـيدى .. لقـد قمـت بتخزينهـــا على اســطوانة كمبيوتر، صنعت منها نسختين متماثلتين ؛ لضمان عدم إتلاف المعلومات تحت ايـــة ظـــروف ، كما قمت بتدمير الوثـــائق الأصلية .

تناول (صالح) الاسطوانتين ، وقال :

ــ عظيم .. والآن ماذا لديك عن (نديم فوزى) هذا ؟

أجابه وعيناه تحملان تلك النظرة الشبيهة بالثعالب :

ــ معلومات بالغة الخطورة يا ســيدى .. إنه مقـــاتل شرس ، جرىء ، لا يبالى بقوة خصمه أو سطوته ، وهـــو الذى أوقع بـ (نعمان والى) .

عقد (صالح) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ــ هو نفســه ؟!

ــ ويقولون إنه يرتدى احيانا زيا أسود اللون ، مع قناع وقفازين ، كما لو كان شخصـــية اسطورية ، وهو شريك

للفتاة التى فشل (طومان) فى قتلها ، ويبدو انهما يعملان معا ضدنا .

مط (صالح) شفتيه ، قائلا :

ــ ضدى انا ؟!.. يا للسخافة !

ثم رفع عينيه إلى (عزت) ، مستطردا فى حزم :

ــ أريد هذا الفتى حيا يا (عزت) .

انحنى (عزت) ، وهو يقول فى خبث :

ــ امرك مطاع يا سيد (صالح) .

ثم اعتدل مستطردا :

ــ وماذا عن (لوسى) ؟

عقد (صالح) حاجبيه مرة اخرى ، وهو يقول :

ــ ماذا عنها ؟

أجابه (عزت) :

ــ هل نتم مهمتها بشأن الفتاة ؟

هتف (صالح) فى حزم :

ــ بالطبع .. دعها تخلصنا من الفتاة ، فى حين نعمل نحن على اقتناص الفتى .

قال (عزت) فى خفوت :

ــ ولكنها تطالب خمسين الفا هذه المرة .

أجابه (صالح) ، وهو يلوح بكفه فى حزم :

ــ امنحها ما تطلبه .

ثم زمجر مستطردا :

ــ على الا تفشل هى ايضا .

ابتسم (عزت) ، وهو يقول :

— إن (لوسى) تملك اسلوبا خاصا ، ثم إنها لم تفشل فى عملياتها ابدا .

غمغم (صالح) فى سخرية :

— هناك مرة اولى دائما .

قال (عزت) فى خبث :

— لن تكون هذه المرة .

ثم اضاف بلهجة جادة :

— وبالمناسبة ، سيصل (سوريال) الليلة .

رفع (صالح) عينيه إليه ، وامتلأت كل خلجاته بالاهتمام ، وهو يقول :

— (سوريال) بنفسه ؟!

قال (عزت) مبتسما :

— بشحمه ولحمه .

قال (صالح) فى اهتمام :

— لا ريب أن حجم الصفقة رهيب هذه المرة .

مال (عزت) نحوه ، وهو يقول :

— بالتاكيد ، فهو يتعلق بمشكلة الجنوب فى (السودان) ، وبعملية تقسيم (لبنان) ، و ....

قاطعه (صالح) :

— اعام هذا .. اعلمه .

ثم اضاف فى حزم ، وهو يتراجع بمقعده :

وهذا يعنى انه من الضرورى ان ننهى عملية (العقرب) هذه .. وباقصى سرعة .

* * *

استمعت (غادة) إلى حديث (نديم) فى انفعال ، ثم قالت فى حماس :

— إذن فقد اخبر (مجدى) (صالح عثمان) بأمرك ، وصاو اللعب بأوراق مكشوفة .

قال فى هدوء :

— هل يخيفك هذا ؟

ابتسمت فى جذل ، وهى تقول :

— بل يجعل الأمر اكثر متعة .

أضاف فى هدوء :

— وخطورة .

ثم شبك اصابع كفيه امام وجهه ، مستطردا :

— ثم إن هذا يفسد الكثير من عمـــل (العقرب) ، الذى يعتمد على السرية والغموض .

ضحكت وهى تقول :

— اطمئن ، ما دام (صالح) قد حصل على كل معلوماته من العقيد (مجدى) ، فسيظل الشك جزءا من معرفته هذه ، ويمكننا ان نضاعف هذا الشك فى اعماقه ، ونزيد من حيرته ، مما يربكه ويمنحنا نقطة تفوق .

هز راسه فى هدوء ، وهو يقول

— أمثال (صالح عثمان) لا يرتبكون بسهولة يا عزيزتى ، ليس لانهم شجعان صـــناديد ؛ بل لأن ثقتهم بقوتهم تجعلهم

يظنون انه ما من احد يمكنه هزيمتهم ، وان لا داعى للخوف من أى مخلوق ، ولكن هذه الثقة المفرطة فى حد ذاتها تعـد نقطة ضعف كبيرة ، إذا ما احسن المرء استغلالها .

ضحكت (غادة) مرة أخرى ، وهى تقول :

ـ يا لك من فيلسوف .

تابع فى هدوء ، وكأنه لم يسمعها :

ـ ولكننى اشعر أن (صالح عثمـان) هذا يخفى امـرا رهيبا ، هو سر ثروته المفـرطة ، التى لم يبلغهـا مثله من قبل .. امر يفوق العمل بالمقـاولات والتهـريب ، وحتى المخدرات .

سألته فى حيرة :

ـ وما الذى يفوق ارباح تجارة المخدرات ؟

تطلع إليها لحظة ، ثم اجاب فى حزم واقتضاب :

ـ السلاح .

وشعرت (غادة) فى اعماقها بارتجافة ..

* * *

هبطت الطائرة القادمة من (باريس) ، فى ميناء (القاهرة) الجوى ، وغادرها رجل اشقر الشـعر ، أزرق العينين ، توحى كل ملامحـه وحقائبه بأنه فرنسى ، على الرغم من أن لهجته الفرنسية كانت تشف عن انه ليس فرنسى الأصل ، او انه من سكان شرقى (فرنسا) ، إلا ان كل هذا لم يعن شيئا ، عندما تم استقبال ذلك الفرنسى فى قاعة اسـتقبال كبار الزوار بصفة استثنائية ، حيث كان ينتظره (عزت) ، الذى ابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يرحب به ، قائلا :

ـ مرحبا يا مسيو (سوريال) .. كيف حالك ، وكيف حال الرجال هناك ؟

أجابه (سوريال) بلغة عربية ، وبلهجة مصرية خالصة :

ـ جميعهم بخير يا مسيو (عزت) .. المهم كيف حـال الرجل هنا ؟

ابتسم (عزت) ابتسامته التى تحمل الكثير من الخبث ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا رجل .. إننى اسـيطر عليـه سيطرة تامة هنا .

واطلق ضحكة قصيرة ، قبل أن يضيف :

ـ ثم إنه يعبد المـال ، وهذا يجعل الأمر اكثر سهولة .

ابتسم (سوريال) فى ارتياح ، وقال :

ـ بالتـاكيد .. إننى أميل إلى التعـامل مع أولئك الذى يعبدون المـال .

استقلا معـا سـيارة فاخرة ، تحمل شـعار شركات (صالح) ، و (سوريال) يقول :

ـــ هذه المرة ستكون الصفقة بالفة الضخامة .

قال (عزت) فى شراهة :

ـــ لقد وعدتنى بعمولة تبلغ نصف مليون دولار .

ابتسم (سوريال) ، ورمقه بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـــ لقد وافق الرجال على رفعها إلى مليون دولار دفعـــة واحدة ، لو تمت الصفقة كما ينبغى .

فرك (عزت) كفيه فى لهفة ، وسال لعابه لسماع المبلغ ، وهو يقول :

ـــ ومن سيحمل السلاح هذه المرة ؟.. المتمردون فى جنوب (السودان) أم ميليشيا الكتائب فى (لبنان) ، أم ..

قاطعه (سوريال) فى حزم :

ـــ بل المصريون .

حدق (عزت) فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـــ المصريون ؟!.. ولمـــاذا يحمل المصريون السلاح ؟!.. وضد من ؟!

ابتسم (سوريال) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ـــ ضد عدوهم التقليدى ، عبر ما يقرب من نصف القرن يا عزيزى .

ثم مال نحوه ، مستطردا بابتسامة اكثر غموضا :

ـــ ضد الإسرائيليين .

وكانت مفاجاة بحق ..

* * *

٨ ـــ صفقة الموت ..

عقد (صالح عثمان) حاجبيه فى شدة ، وهو يستمع إلى (سوريال) ، قبل ان يغمغم فى شك :

ـــ حـــرب مصرية إسرائيلية ؟!.. وكيف يمكن ان تشتعل هذه الحرب ؟.. الا تعلم يا رجل انه هنـــاك معاهدة ســـلام مصرية إسرائيلية ، وان ..

قاطعه (سوريال) مبتسما فى هدوء :

ـــ المعاهدات والأوراق مجرد أشياء يمكن تمزيقها وتجاهلها يا مسيو (صالح) ، عندما تبدأ الاضطرابات على الحدود .

ازداد انعقاد حاجبى (صالح) ، وهو يقول :

ـــ وكيف تحدث هذه الاضطرابات ؟

اتسعت ابتسامة (سوريال) ، وهو يقول :

ـــ إنها مهمتك يا مسيو (صالح) .

هتف (صالح) مستنكرا :

ـــ مهمتى انا ؟!

اعتدل (سوريال) بغتة ، ومال نحو (صالح) ، قائلا فى حزم :

ـــ اسمع يا مسيو (صالح) .. عنـــدما قبلت العمل ، كواحد من كبار تجار السلاح فى الشرق الأوســـط ، الذين نسبغ عليهم حمايتنا ، كان هذا يعنى التخلى عن كل عواطفك وانتماءاتك ، وان تبذل دوما اقصى جهدك ؛ لتفعل كل ما نطلبه منك ، وكل ما يكفل لنا النجاح ، ولتعلم أن الحرب المصرية

الإسرائيلية كانت دوما الممول الأكبر لنا فى تجارة الأسلحة ، فى منطقة الشرق الأوسط كلها ، وبانتهائها فقدنا موردا كبيرا للمـــال فى المنطقة ، وحتى الحروب والصراعات الجانبيـــة التى دفعنا الشعوب إليهـــا دفعا لم تمنحنا ما يعوض ذلك ؛ لذا فقد رأى الرؤساء ، بعد دراسة الأمر من كل الوجوه ، انه من المحتم أن تشتعل الحرب المصريـــة الإسرائيليـــة مرة اخرى .

ثم تراجع فى مقعده ، ولوح بكفه مستطردا :

ـــ ثم إنك ستربح من هذا ما يقرب من مليارى دولار .

جاء دور (صـــالح) ليميل نحو (سوريال) ، قائـــلا فى صرامة :

ـــ ينبغى أن تعلم اولا اننى بالفعل اقوى رجالكم فى الشرق الأوسط ، وانكم لا تستطيعون تعويضى ، فلقد بلغت شانا يصعب ان يبلغه رجل يعمل بعيدا عن لعبة السياسة ، حتى اننى اكاد اكون الوحيد من المدنيين ، غير السياسيين ، الذى يمتلك طائرة خاصة ، بتصريح مميز من وزير الدفاع المصرى نفسه ، وهليوكوبتر خاصة لتنقلاتى عبر مواقع عمل شركاتى المختلفة ، ولقد نجحت باتصـــالاتى فى منحكم حجم تعاقدات يبلغ عشرة مليارات دولار ، خـــلال عامين فحسب ، ولكننى فى النهاية مصرى ، وليس من السهل أن اسعى لإشعال حرب مصرية إسرائيلية .

ابتسم (سوريال) ابتسامة اقرب إلى السخرية ، وهـــو يقول :

ـــ العاملون بتجـــارة الســـلاح لا ينتمون إلى اية دولة يا مسيو (صالح) ، إنهم ينتمون للمال وحده .. هو وطنهم وسيدهم وهدفهم .. لقد عقدت انا نفسى صفقتين رائعتين فى (باريس) ، إحداهما مع حكومة جنوب إفريقيا البيضـــاء ، والثانية مع الثوار السود فى جنوب (إفريقيا) نفسها .. إننا لا نهتم بمن الرابح او الخاسر فى كل الحروب ، المهم ان تمتد الحرب لأطول مـــدى ممكن ، وأن نبيع الأســـلحة بمليارات الدولارات .. وحتى عندما تشـــتعل الحـــرب المصريـــة الإسرائيلية ، فإننا سنبيع الأسلحة للطرفين على حد سواء .. المهم هو أن نربح .. المهم هو الأوراق الخضراء يا رجل .. اوراق البنكنوت .

قال (صالح) فى حدة :

ـــ وهذا ما اقصده انا ايضا ، فلست ارفض الحرب بسبب عواطف وطنيـــة ، وإنما لأن الحـــرب ستفقدنى الكثير من امتيازاتى .

اسرع (سوريال) يقول :

ـــ وستمنحك مليارى دولار دفعة واحدة .

صمت (صالح) يفكر فى الأمر ، وراح ينفث دخان سيجاره فى عمق ، قبل أن يقول :

ـــ وكيف يمكن إشعال حرب كهذه ، بعد أن هدأت الأمور ؟

ابتسم (سوريال) ابتسامة رجل بلغ ماربه ، وقال :

ـــ فقط عليك أن تدفع بعض المهـــربين ، الذين يعملون لحسابك ، لزرع بعض القنابل على خط الحدود ، فى (طابا)

او (غزة) ، او غيرهما ، وعندما تنفجر القنابل سنتكفل نحن بالباقى .

صمت (صالح) دقيقة اخرى ، ثم غمغم :

— مقابل مليارى دولار ؟

اجابه (سوريال) فى إغراء :

— على الاقل .

اعتدل (صالح) دفعة واحدة ، وقال :

— اتفقنا .. متى نوقع العقد الخاص .

اتسعت ابتسامة (سوريال) ، حتى كادت تلتهم وجهه كله ، وهو يقول :

— فى (باريس) كالمعتاد ، مساء الغد .

قال (صالح) فى ارتياح :

— لا بأس .. سيمنحنى هـذا فرصـة كافية لسـحق (العقرب) اولا .

عقد (سوريال) حاجبيه ، وهو يقول :

— اى عقرب هذا ؟

ابتسم (صالح) قائلا :

— لا تقلق نفسك بشأنه يا مسيو (سوريال) .. إنه مجرد عقرب ، وسينتهى أمره تماما .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

— الليلة .

* * *

وضعت (غادة) الكمبيوتر الجديد فى موضع القديم ، وهى تقول فى حدة :

— أقسم ان يدفع (صـالح عثمان) هـذا ثمن الكمبيوتر القديم ، الذى حطمه ذلك الدب ، الذى أرسله لقتلى .

قال (نديم) فى هدوء :

— عندما نوقع به ستكون فاتورته ضخمة للغاية .

ثم استطرد فى بساطة :

— هل ستعودين إلى منزلك ؟.. إنهـا الحادية عشرة مساء .

قالت فى اهتمام :

— لا .. يمكنك أن تنصرف انت ، فسـابقى انا ؛ لإعداد الكمبيوتر الجديد للعمل .

قال وهو يتجه إلى الباب :

— لا بأس ، ولكن انتبهى جيدا هذه المرة .

ابتسمت قائلة :

— اطمئن .

سمعته ينصرف ، ويغلق الباب خلفه ، فغمغمت مبتسمة :

— يا لك من رجل يا (نديم) !!.. إنك من ذلك النـوع النادر ، الذى يحيـا وسط المخاطر فى هدوء ، كمـا لو كان يسبح فى مسبح خاص ، وهـو يرقد فـوق مرتبة غير قابلة للغرق .

وارتفع حاجباها فى حنان ، وهى تستطرد :

— ولعلنى لهذا احبك .

ثم زفــرت فى قــوة ، وهى تداعب أزرار الكمبيــوتر ، مستدركة :

ـ دون ان تشعر انت بنبض قلبى .

راحت تختبر الكمبيوتر الجديد فى اهتمــام استغرق كل حواسها ، حتى انها قد انتفضت عنـــدما ارتفع رنين جرس الباب بغتة ، وتمتمت :

ـ اى زائر سخيف هذا ؟

اتجهت نحو الباب فى سرعة ، إلا ان موجة من القلق ملأت نفسها بغتة ، وجعلتها تتساءل عمــا إذا كان من المحتمل ان يكون الطارق احد رجال (صالح عثمان) ؛ لذا فقد انحنت تتطلع عبر العين السحرية التى تتوسط الباب ..

وملأتها دهشة بالغة ..

كانت هناك سيدة بالغة الجمال والاناقة ، فى منتصـف الثلاثينيات تقريبا ، تقف أمام الباب فى هدوء ..

وفى حيرة فتحت (غادة) الباب ، وراحت تتطلع إلى تلك الشقراء الفاتنة ، التى ترتدى ثوبا أنيقا غالى الثمن ، وقفازين حريريين ، وتبتسم بشفتين ســـاحرتين ، وعينين زرقاوين رائعتين ، وهى تقول :

ـ أهذا مكتب (نديم فوزى) ؟

اشارت (غادة) إلى اللافتة التى تحمل اسم (نديم) ، والتى تتوسط الباب ، وهى تقول :

ـ أظنه هو حتما ، ولكن (نديم) نفسه قد انصرف منــذ قليل ، و ...

قاطعتها تلك الفاتنة قائلة :

ـ اعلم ذلك ، لقد رايته ينصرف .

لم ترق ابتسامتها لـ (غادة) ، وهى تستطرد :

ـ إننى اريدك انت .

عقدت (غادة) حاجبيها ، وهى تقول فى دهشة :

ـ تريديننى انا ؟.. لمــاذا ؟

بدت ابتسامة الفاتنة اشد غموضا ، وهى تجيب :

ـ سأخبرك كل شىء بالتأكيد ، ولكن أعتقد انه ينبغى ان نتعارف اولا :

واتسعت ابتسامتها ، وهى تضيف :

ـ اسمى (لوسى) ..

* * *

غادر (نديم) البناية التى تضم مكتبه ، واتجه فى هدوء إلى سيارته ، التى تستقر على بعد خطــوات ، وقد خـلا الشارع تقريبا من المــارة ، ولكن رجلا برز من خلفه فجاة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ السيد (نديم فوزى) .

التفت (نديم) إلى مصدر الصوت فى هدوء ، وتطلع إلى الرجال الثلاثة ، الذين احاطوا به على نحو مريب ، هــو يقول :

ـ نعم أظننى هو .

ابتسم الرجل ابتسامة مريبة ، وهو يقول :

— عظيم .

وهنا ادرك (نديم) انه لا مجـــال للتردد ، وانه عليه ان يتحرك فى سرعة ، أو ...

أو يخسر كل شىء ..

وتحرك (نديم) بغتة ..

وبكل قـــواه ، لكم الرجل الواقف امامه فى فكه ، وسمع صوت إحدى أسنان الرجل تتحطم ، ولكنه لم يتوقف ليتأكد من ذلك ، بل دار على عقبيه فى سرعة ، ولكم الرجل الثانى فى انفه ..

وفجأة برز من مدخل البناية ثلاثة رجال آخرين ، انقضوا على (نديم) ، الذى وجد نفسه بغتة يواجه اربعة رجال ..

وقبل ان يشتبك (نديم) مع الرجـــال الاربعة ، شـــعر بضربة عنيفة على مؤخرة عنقه ..

ودارت به الأرض ..

وحاول ان يتشبث بشىء ..

اى شىء ..

ولكنه سقط ..

سقط فاقد الوعى بين خصومه ..

ونهض الرجـــل الأول ، الذى فقـــد اثنتين من أســـنانه الامامية ، وهو يقول فى حنق :

— سأقتل هذا الحقير .. لقد حطم اسنانى .

اوقفه رجل آخر فى صرامة ، وهو يقول :

— لا .. لقد طلبه (صالح) بك على قيد الحياة .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردا :

— إنه يفضل قتله بنفسه .

مط الرجل الأول شفتيه فى سخط ، وقال :

— حسنا .. دعونا نحمله إليه إذن ، فانا اتعجل موته .

وحمل الرجال (نديم) الفاقد الوعى إلى ســيارة تنتظر قريبا ..

وانطلقوا به إلى حيث ينتظره مصيره ..

إلى حيث الموت ..

* * *

٩ــ القتلة ..

بدت (لوسى) شديدة الجمال والغموض ، فى عين (غادة) ، وهما تجلسان فى مواجهــة بعضــهما البعض ، فى حجرة (غادة) ، حتى ان هذه الأخيرة قد شعرت بشىء من القلق ، وهى تتطــلع إلى ابتســامة (لوسى) ، وتلك الســيجارة المشتعلة بين أصابعها ، وقالت محاولة دفع أكبــر قدر من الهدوء إلى صوتها :

— حسنــا يا ســيدة (لوسى) ، ما سر هــذه الزيارة الغامضة ، قبيل منتصف الليل ؟

اجابتهــا (لوسى) فى هدوء ، وهى تطفىء سيجارتها فى بطء :

— الواقع أننى افضل دوما التعامل مع الرجال يا عزيزتى (غادة) ، ولكنهم اخبرونى انك قوية الشكيمة ، وصلبة ...

قاطعتها (غادة) بنفاد صبر :

— وماذا ؟

اتسعت ابتســامه (لوسى) ، وكأنما يروق لهــا إثارة أعصاب محدثها ، وقالت فى هدوء :

— الواقع ايضا اننى قد انتظرت انصراف السيد (نديم) ؛ لأننى أريدك وحدك ، فلقت اتيت هنا لمهمة محدودة .

سألتها (غادة) فى اهتمام :

— ما هى ؟

وفجأة ، دون سابق إنذار ، قفزت قـــدم (لوسى) تركل (غادة) فى وجههـــا بقوة وعنف ، على الرغم من صـــوت (لوسى) الهادىء ، وهى تقول :

— قتلك .

سقطت (غادة) ارضا ، ودارت الأرض امام عينيها ، من عنف الضربة والمفاجاة ، ورات بعينين زائغتين (غادة) وهى تنهض ، وتقول بنفس ابتسامتها :

— ويبدو ان ذلك الامر ليس بالصـــعوبة التى اوحوا لى بها .

قالتها ، وركلت (غادة) فى معدتها بكل القسوة والقوة ، فتأوهت (غادة) فى الم ، ثم دفعت جســـدها جانبا ، وهى تقول :

— هذا ما يبدو ظاهريا ، ولكن ..

قبل ان تتم عبارتها ، هوت قبضة (لوسى) على معدتها فى عنف ، وهذه الأخيرة تقول فى سخرية :

— ولكن ماذا ؟

كان تأثير المفاجأة عنيفا بالنســـبة إلى (غادة) ، التى لم تتوقع أبدا من تلك الفاتنة ، كل هذه الشراسة والعنف ، حتى انها لم تستطع استعادة سيطرتها على نفسها بالسرعـــة المطلوبة ..

ولم تكن (لوسى) لتمنحها حتى الفرصة لذلك ..

لقد احتملت (غادة) آلام الضربات بالفعل ، وحاولت ان تنهض ..

وان تقاتل ..

ولكن (لوسى) أخرجت من حقيبتهـــا بخاخة صغيرة ، وأخفت انفها بقفازها الحريرى ، وهى تضغط قمة البخاخة ، وتدفع الكثير من رذاذ بارد فى وجه (غادة) ، قائلة :

— هيا يا عزيزتى .. استسلمى للنوم ، لا أحـــد يقاوم (لوسى) كثيرا .

عبـــر ذلك الرذاذ البـــارد انف (غـــادة) ، وتصـــاعد إلى راسها فى سرعة ، وراح مخها يدور فى فراغ جمجمتها ، وخفتت الأضواء امام عينيها ، وهى تقاوم للنهوض ، هاتفة :

— أيتها اللعينة !

ثم انهارت مقاومتها دفعة واحدة ..

وسقطت عند قدمى (لوسى) ..

وفى شىء من الزهو ، ابتسمت (لوسى) ، وهى تعيـــد البخاخة إلى حقيبتها ، قائلة :

— قلت لك لا احد يمكنه ان يهزم (لوسى) .

وانحنت تجذب جسد (غادة) ، مستطردة :

— إننى فريدة فى اسلوبى .

جذبت (غادة) حتى مطبخ المنـــزل ، وتركتهـــا تستلقى ارضا ، ثم اتجهت نحو ماسورة الغـــاز ، وفتحت صمامها ، وهى تقول فى سخرية :

— سيبدو الأمر كما لو كان حادثا .. مجرد فتاة نسيت إغلاق صمام الغاز .

قالتها وفتحت الموقد ؛ ليتسرب الغاز ، وهى تخفى أنفها بقفازها الحريرى ، قبل تستطرد :

— الوداع أيتها الشرطية السابقة .

وفى هدوء وبساطة ، غادرت المكتب كله ، وأغلقت الباب خلفها فى إحكام ..

لقد انتهت مهمتها ..

ونجحت ..

* * *

خيل لـ (نديم) أنه يهوى فى بئر عميقة ، لا قرار لها ..

ويهوى ..

ثم راحت سرعة السقوط تنخفض ..

واستيقظ عقله دفعة واحدة ..

وفى بطء فتح عينيه ، وهو يشعر بصداع رهيب ، وطالعه مشهد السماء بنجومها المتلألئة ، فتمتم تلقائيا :

— اين أنا ؟

رأى وجها يميل نحوه ، ويقول فى سخرية :

— أنت هنا .. على سطح مبنى (صالح) بك .

ميز (نديم) وجه (عزت) ، وأدار عينيه قليلا ، فتوقفتا عند الهليوكوبتر الخاصة ، التى تحمل شعار شركات (صالح عثمان) ، وفاجأه صوت هذا الأخير ، وهو يقول :

— إذن فأنت هو (العقرب) .

وعلى الرغم من ذهنه شبه المشوش ، غمغم (نديم) :

— اى عقرب ؟

تطلع (صالح) إلى (عزت) فى شىء من الشك ، قبل أن يقول فى صرامة :

— لا تحاول الإنـــكار .. كلنا نعلم انك ذلك المتحذلق ، الذى يطلق على نفسه اسم (العقـــرب) ، والذى يقتحم مكاتب الناس بكل صفاقة ويترك خلفه بطاقته السخيفة .

اغلق (نديم) عينيه فى قوة ، وكأنما يحاول التغلب على الصراع العنيف ، الذى يكتنف رأسه ، وغمغم :

— إننى مجرد محام .

قال (صالح) فى ضيق :

— لست هنـــا للاستجواب والمناقشـــة .. لقد أصدرت الحكم بالفعل .

شعر (نديم) بـ (عزت) يكشف ذراعه ، ويدفع فيه إبرة محقن ما ، فغمغم :

— ما هذا ؟

أجابه (صالح) :

— إنه عقار خاص ، سيجعلك فى حالة شـــبه غيبوبة ، بحيث تعجز عن القتال ، وإن كنت ستشعر بكل ما حولك .

ثم أشار إلى الهليوكوبتر ، مستطردا :

— هل ترى هذه الهليوكوبتر الأنيقة ، الفريدة من نوعها فى مصر ؟.. إنها هليوكوبتر خاصة ، من النادر أن يحصل

عليها رجل أعمال هنا ، ولكننى حصلت عليها بتصريح خاص، اعتمادا على انتشار مشروعاتى العقارية على نحو كبير ، وبعض هـــذه المشروعات يقبع فى قلب الصـــحراء ، حيث ستحملك الهليوكوبتر بعد قليل .

واشعل سيجاره الفاخر ، وهو يتابع فى سخرية :

— ولن تحملك الهليوكوبتر إلى موقع المشروع بالطبع ، فهناك الكثير من العمال ، الذى سيريبهم الأمر . .

واتسعت ابتسامته ، وهو ينفث دخان سيجاره ، مردفا :

— إنهم سيلقونك فى الصحراء .

توترت اعصاب (نديم) ، ولكنه شعر بتراخ فى عضلاته ، يمنعه من المقاومة ، وهو يتمتم :

— لمـــاذا ؟

هز (صالح) كتفيه ، ونفث دخان سيجاره ، وهو يجيب :

— الواقع اننى رجل اكره المشـــاكل ، واميل دومـــا إلى التخلص من كل ما يسبب لى الأرق والقلق .

وانعقد حاجباه ، وهو يضيف فى حزم :

— وانت تسبب لى هذا .

ارتسمت ابتسامة ثعلبية على شفتى (عزت) ، فى حين برز رجلان من رجال (صالح) ، حملا (نديم) إلى الهليوكوبتر ، واجلسا جسده المتراخى على المقعد المجاور لمقعد الطيار ، وثبتاه بحزام المقعد فى قوة ، و (صالح) يضيف مبتسما :

— رحلة سعيدة يا سيد (نديم) .. اطمئن .. لقد امرت طيـــار الهليوكوبتر بإلقائك من ارتفـــاع كبير ، وســـيتكفل ارتطامك بالأرض بالباقى .

غمغم (نديم) فى غضب :

— ايها الوغد ..

اطلق (صالح) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— وغد ؟!.. يا له من لقب !

ثم التفت إلى شاب قوى البنية ، واستطرد :

— هيا .. أريد ان ينتهى الأمر ، قبل أن تنطلق طائرتى إلى (باريس) .

أومأ الشاب براسه إيجابا ، ومال :

— سيحدث هذا بالتأكيد يا سيدى .

واتجه إلى الهليوكوبتر ، وأدار محركها ، و (صـــالح) يكرر فى سخرية :

ـــ الوداع ايها (العقرب) .

وارتفعت الهليـــوكوبتر بـ (نديم) ، وانطلقت بـــه إلى الصحراء ..

.. إلى حيث ينتظره الموت ..

نهاية الجزء الأول

ترقب البقية فى الجزء الثانى من

(ملك الجريمـــة)

فى العدد السادس من كوكتيل ٢٠٠٠

قصة العدد

لعنة البحر

١ ــ رحلة ..

شعرت ببهجة شديدة ، وانا اقطع الكيلومترات الباقية بسيارتى ، وسط جبال الرمال الصفراء ، متجها إلى شاطىء البحر ، فى مصيف (بلطيم) ، تلبية لدعوة مفتوحة ، وجهها لى صديق عمرى ، وزميل دراستى (حسن) ، لقضاء بضعة أيام معه ، فى كوخ يمتلكه على الشاطىء ، بالقرب من فنار (بلطيم) ، ويطلق عليه ، كعادة سكان هذه المنطقة ، اسم (العشة) ، ويقضى فيه الصيف كله تقريبا وحده ، ويعتبره المحفز الأول لافكاره واشعاره ، منذ صار اديبا شاعرا ، يشار إليه بالبنان ..

والعجيب ان دراستنا ــ (حسن) وانا ــ لم تكن تنتمى إلى الدراسات الأدبية على الإطلاق ، فكلانا خريج كلية العلوم ، وإن اختلف تخصصانا ، فانا متخصص فى علم الحيوان ، وهو فى علم طبقات الأرض (الچيولوچيا) ، ولكن (حسن) كان يمتلك دوما ذلك الحس الأدبى ، وتلك الموهبة الخلاقة ، التى جعلته يعمل محررا هاويا فى واحدة من اشهر الصحف المصرية، قبل حتى ان يتخرج من الكلية ، ثم لم يلبث ان التحق بها محررا محترفا بعد التخرج ، وانطلق عبر صفحاتها يصنع مجده الأدبى، حتى صار واحدا من اشهر ادباء وشعراء (مصر) ..

ومن بعيد لاح لى الكوخ المنعزل ، او العشة المصنوع نصفها السفلى من الطوب والأحجار ، والمغطى نصفها العلوى بجدران وسقف من البوص ، كمعظم العشش الأخرى ..

ولقد كانت عشة (حسن) هذه منعزلة بحق ، فعلى امتداد نصف الكيلومتر ، على جانبى الشاطىء ، لم تكن تجاورها اية عشش اخرى ، فقد شيدها هو فى لسان رملى خاص ، يخترق جزءا من البحر ، بحيث يستحيل بناء عشش اخرى فى محاذاتها ، ولعله تعمد ذلك ليحظى بالعزلة والهدوء ، اللذين يعشقهما ، واللذين دفعاه إلى القدوم إلى هنا ، قبل ان ينتصف شهر يونيو ، ويبدأ موسم المصيف الفعلى ، بحيث اصبح اشبه بمن يقيم فى كوخ فى منتصف صحراء ، فهو فى عزلة ، فى مصيف خال تقريبا ..

وعندما اوقفت سيارتى إلى جوار عشة (حسن) ، بدا لى المكان رهيبا حقا ، فباستثناء الفنار الضخم ، الذى يظهر من خلف جبل رملى قريب ، والأمواج التى تضرب الشاطىء على نحو رتيب ، بدت لى المنطقة مهجورة ساكنة تماما ، حتى اننى لم اجرؤ على دق نفير سيارتى لإعلان وصولى ، خشية ان احطم تلك الصورة المهيبة للمكان ، وفضلت ان اغادر السيارة ، واتجه إلى باب العشة الخشبى ، وادقه فى هدوء ..

ومضت لحظات من الصمت التام ، قبل ان يتعالى وقع اقدام (حسن) ، ويفتح الباب :

وهالنى مرآه ..

هالنى بحق ..

لم يكن هو نفسه (حسن) الذى اعرفه ، المفعم بالحيوية والنشاط والقوة ..

كان حتما رجلا آخر ..

شاحبا ، نحيلا ، زائغ البصر ، مرتجف الشفاه ..

وبدلا من أن نتبادل التحية التقليدية ، أو نتعانق فى لهفة ، شأن صديقين لم يلتقيا طيلة شهر كامل ، وجدت نفسى أهتف ملتاعا :

ـ (حسن) ؟!.. ماذا اصابك ؟

تطلع إلى بتلك النظرات الزائغة ، قبل أن يتمتم :

ـ (فتحى) ؟!

قالها فى لهجة رجل بوغت بما لم يكن يتوقعه أو يريده ، أو بأسلوب من فوجىء بقدوم ضيف ثقيل فى لحظة راحة واستجمام، مما أصابنى بغير قليل من الحرج والارتباك ، لولا قلقى عليه ، وانا اقول فى جزع :

ـ قل لى ماذا حدث ؟

رأيت ابتسامة شاحبة باهتة ترتسم على شفتيه ، كان من الواضح انه قد استجمع كل ما تبقى له من قوة وجهد ، ليرسمها

على نحو مناسب ، وهو يغمغم بحروف لم ينجح فى إخفاء ارتجافتها :

ـ ومن انبأك بحدوث شىء ؟

دلفت إلى الداخل ، وانا أشير إلى وجهه ، قائلا :

ـ انت .. وجهك يحمل اهوالا .

رسم نفس الابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

ـ انت تبالغ كعادتك .. لقد كنت مريضا بعض الوقت فحسب .

كان من الواضح انه يكذب .. وانه يخفى عنى امرا ما ..

وانه لم يفعل هذا قط ، طيلة عمر صداقتنا الطويلة ..

وفى حيرة تطلعت إليه ..

لماذا يكذب ؟..

لماذا يعمد ـ لأول مرة ـ إلى إخفاء شىء ما عنى ؟..

إنه لم يخف عنى أبدا ، حتى حقائق مشاعره وخباياها ..

حتى اللحظات التى خفق لها قلبه ..

واللحظات التى استسلم فيها لخفقاته ..

لم يخف عنى ـ بحكم صداقتنا ـ امرا واحدا طيلة عمرينا .

فماذا حدث ؟!..

كان من الواضح انه يعانى توترا شديدا ، فقد راح ينقر مسند مقعده بأصابعه فى عصبية ، وهو يتطلع عبر النافذة المفتوحة إلى البحر ، ونظراته تحمل الكثير من القلق والترقب والخوف ، مما دفعنى إلى سؤاله :

ـ كيف حال العمل ؟

التفت إلى ، يسألنى فى شرور :

ـ أى عمل ؟

غمغمت :

ـ قرض الشعر .

حدق فى وجهى لحظات ، وكأنما لم يفهم ما أعنيه ، ثم عاد يدير عينيه إلى البحر ، ويتطلع إليه بنفس التوتر والخوف ، وهو يغمغم فى لهجة بدت لى مريرة :

ـ الشعر ؟!..

أدرت عينى بدورى ، أتطلع إلى البحر فى حيرة ، ولم أدر أبدا ما الذى يمكن أن يثيره ذلك البساط المائى الجميل فى النفس. سوى النشوة والانتعاش ؟!..

كيف يمكن لمشهد الأمواج الناعمة الرقيقة ، وهى ترتطم بالشاطىء فى رفق ، ثم تنسحب عنه فى حياء ، أن يثير فى النفس التوتر والخوف ؟!..

ولكن مهلا ..

تلك النظرة فى عينى (حسن) لم تكن تحمل التوتر والخوف فحسب .. لقد كانت مزيجا عجيبا من اللهفة والخوف ، والترقب والقلق ..

كانت نظرة إنسان ينتظر شيئا يرهبه ويحبه فى آن واحد .. تماما كمدمن المخدرات ، عندما ينتظر المخدر فى لهفة ، وهو يخشاه لما يحطمه فى نفسه من إرادة وقوة ..

وللحظة ، راودتنى فكرة أن يكون (حسن) مدمنا ، إلا أننى لم البث أن استبعدتها فى نفس اللحظة ..

وتضاعف فضولى ، ولم أعد أحتمل السكوت ، أو أطيق صبرا على الغموض وقررت أن أتعامل مع (حسن) بذلك الأسلوب ، الذى نتعامل به طيلة عمرنا ، فملت نحوه ، وسألته على نحو مباشر :

ـ حسنا .. ماذا فى البحر ؟

أدهشنى رد فعله كثيرا .

بل أذهلنى ..

لقد انتفض وارتجف ، وشحب ، وامتقع ، كما لو أننى قد أخبرته أن موعد مصرعه قد حان ، وأنه سيقضى نحبه بأشد طرق الأرض عذابا وإيلاما ، وهتف مرتعدا منكمشا مذعورا :

ـ البحر ؟!.. لا يوجد شىء فى البحر .. لا شىء على الإطلاق .. من وضع فى رأسك هذه الفكرة ؟

تنهدت وقد أدركت عدم جدوى المصارحة ، مع حالة (حسن) العجيبة ، وشعرت لحظات بالندم لقدومى ، ثم لم البث أن أبدلت هذا الشعور بشعور آخر بالارتياح ؛ لأننى قد وصلت إلى صديقى فى الوقت المناسب ، قبل أن يصيبه ذلك الشىء فى البحر بالجنون ..

ولكن ما هذا الشىء ؟

ألح هذا السؤال فى ذهنى ، قبل أن يقول (حسن) :

ـــ لا ريب انك تحتاج إلى الراحـــة ، بعد رحـــلة الســـفر الطويلة ، من (القاهرة) إلى (بلطيم) .. ساعد لك قدحا من الشاى ، وعشاء بسيطا .

اومات برأسى موافقا فى خفـــوت ، وتركته يذهب لإعـــداد ما عرض ، وانا ادير وجهى إلى البحر فى حيرة ..

ما الذى يخفيه ذلك السطح الهادىء المتموج ؟..

اية لعنة تحملها هذه الأمواج ؟..

ولم اتصور لحظتها ان رحلتى هذه ســـتبدل مسار عمـــرى وحياتى كله ..

وإلى الأبد ..

* * *

٢ ـــ البحـــر ..

لست ادرى كيف نمت بكل هذا العمق فى تلك الليلة !!

لقد كانت حيرتى وحدها كافية لإيقاظى طيلة الليل ، ولم اكن مرهقا إلى ذلك الحد ، ولكننى لم اكد اضـــع رأسى على الفراش ، حتى رحت فى نوم ثقيـــل عميق ، يفوق حتى عمق نومى العادى ، فى اشد ايامى إرهاقا ..

وعندما استيقظت ، لم يكن (حسن) فى العشة ..

لقد بحثت عنه طويلا ، وليست العشـــة بالضخامة التى تكفى لأن يختفى دون ان أعثر عليه ..

ولم ادر اين ذهب (حســـن) ، ولقد شـــعرت فى الواقع بالقلق إزاء اختفائه ، وزاد من توترى ذلك الصداع ، الذى يكتنف راسى ، والذى لم يفارقنى منذ استيقاظى ، فتوجهت إلى المطبخ ؛ لإعداد قدح من الشاى ، وبعد ان وضعت إبريق الشاى فوق الموقد المشتعل ، وراح ماؤه يغلى ، كشفت فجأة اننى اجهل اين يضع (حسن) الشاى ، فرحت ابحث عنه ، ولكننى لم اعثر على ذرة واحدة منه ، على الرغم من معرفتى بكم استهلاك (حسن) له ، وراودتنى فكرة انه قد يحتفظ به فى حجرة نومه ، فذهبت إلى هناك ، وفتحت صوانه ، و ...

وبهت ..

كان الصوان منظما للغاية، كعادة (حسن) ، ولكن احد أرففه قد أخلى تماما ، ليحتله تمثال رائع مبهر ، لشعب مرجانية من الذهب الخالص ، تزينها قطع صغيرة من الماس والياقوت والزمرد ، لم يكد الضوء يسقط عليها ، حتى راحت تتألق على نحو رائع مثير ..

ووقفت أمام التمثال مبهورا ، مشدوها ، دون أن أجرؤ حتى على لمسه ..

لقد كان تحفة رائعة الجمال ، صنعتها اصابع فنان ماهر ، لملك عظيم ، أو مليونير سخى ، فلم يكن ثمن مثل هذه الرائعة ايقل عن مليون جنيه دفعة واحدة ..

وفجأة ارتفع صوت غاضب من خلفى ، يقول :

— ماذا تفعل هنا ؟

استدرت إلى مصدر الصوت فى حدة ، ووقع بصرى على (حسن) ، الذى بدا بسحنته المقلوبة فى تلك اللحظة اشبه بذئب غاضب ، انتزع احدهم فريسته ..

وقبل أن انبس بحرف واحد ، اندفع (حسن) يتجاوزنى ، واغلق صوانه فى إحكام ، وهو يقول فى غلظة :

— لست أحب العبث باشيائى .

تمتمت مرتبكا :

— لقد كنت أبحث عن ..

قاطعنى ثائرا :

— ابحث فى مكان آخر ، وليس فى حجرتى .

تمتمت :

— معذرة .

لم يكن مثل هذا الموقف قد حدث بيننا أبدا ؛ لذا فقد بلغ ارتباكى وتوترى مبلغهما ، وانا اغادر حجرته ، التى اغلقها بمفتاحها فى إحكام ، وقبض أصابعه على المفتاح فى قوة ..

لحظتها فقط لاحظت جسده المبتل ، وشعره الملتصق بجبينه ، فغمغمت محاولا الابتعاد عما حدث :

— اكنت تسبح ؟

أجابنى فى غلظة لم اعتدها منه ابدا :

— ليس هذا من شأنك .

صدمنى الجواب ، فحدقت فى وجهه لحظة ، ثم انسحبت إلى الشرفة ، وجلست صامتا مبهوتا ، احدق فى البحر ، الذى يملك وحده سر الغموض المحيط بالمكان ، إلا أن (حسن) لم يلبث أن لحق بى ، وغمغم فى اسف :

— معذرة .. لقد كنت متوترا فحسب .

قلت فى خفوت ، وانا اتحاشى أن تلتقى عيناننا :

— لا عليك .

غلفنا الصمت لحظات ، تفاديت خلالها بدء الحديث ، حتى اشار هو إلى البحر ، وقال فى لهجة اشبه بالوله :

— اليس رائعا ؟!

ادهشنى جدا انفعاله ، الذى يختلف جذريا عن انفعال امس ، فتطلعت إلى وجهه فى حيرة ، وانا اسأله :

— ما هذا ؟

اجابنى وكأنه امر بديهى :

— البحر .

ثم عاد يتطلع إلى البحر فى هيام عاشق ، مستطردا :

— إنه أروع شىء فى الوجود ، وخزانة اعظم اسرار الدنيا .. صدقنى .. إننا لم نسبر غوره بعد ، ولم نكشف كل خباياه ، على الرغم من آلاف الكشوف ، التى تنتمى إليه .

كانت فرصة سانحة لكشف السر ، ولم اشأ إضاعتها ، فقلت فى حذر :

— هل كشفت فيه جديدا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حالمة ، وهو يقول :

— بل كشفت جنته .

وفجأة تبدلت ملامحه ، واكتست بالحزن ، وهو يستطرد :

— وجحيمه .

لم افهم المعنى جيدا ، فسألته فى فضول :

— ما معنى ان تكشف الجنة ، والجحيم فى آن واحد ؟

شرد ببصره لحظات ، وهو يتطلع إلى نقطة مجهولة فى البحر ، قبل ان يبتسم فى مرارة ، ويقول فى خفوت :

— إنما هو تعبير شعراء .

كنت اعلم انه ما زال يخفى عنى الكثير ، وانه لم يفصح بعد عن كل ما لديه ، ولم اطق المزيد من الانتظار ، فسألته :

— الهذا الكشف علاقة بتمثال المرجان الذهبى ؟

بقى صامتا ، جامدا لحظات ، قبل ان يقول فى اقتضاب :

— إلى حد ما .

فجأة قفز إلى ذهنى سؤال ، لم يلبث ان وجد طريقه إلى لسانى فى اللحظة ذاتها ، فقلت :

— ولكن اين كنت تسبح ؟

اجابنى فى بساطة :

— فى البحر .

قلت فى حيرة :

— ولكننى لم ارك .. لقد بحثت عنك فى العشة ، ووقفت اتطلع إلى البحر طوال خمس دقائق كاملة ، ولم تكن هناك .

اجابنى فى هدوء :

— لم تكن لترانى ، فقد كنت تحت .. تحت سطح الماء ..

سألته :

— لماذا ؟

صمت طويلا ، وهو يتطلع إلى البحر ، وشحب وجهه قليلا ، قبل ان يجيب فى خفوت :

— لست ادرى .

ثم اعتدل بغتة ، وسألنى :

— هل تناولت قدحا من الشاى عند استيقاظك ؟

قلت فى ضيق :

— لم اجد الشاى .

ابتسم قائلا :

— ربما لأنك لم تبحث جيدا .. سأعد أنا لك قدح الشاى، الذى تحب تناوله كل صباح .

ذهب لإعداد الشاى ، وتركنى فى الشرفة حائرا ، أتطلع إلى البحر ، وأتساءل عن سر تلك التغيرات ، التى تصيب (حسن) ، وعن ارتباطها بالبحر ، وأبحث عن تفسير لغموض أسلوبه وكلماته ..

وفجأة ، التقطت عيناى شيئا ما على الرمل ..

أثرا صغيرا ، انطبع بالقرب من الأمواج ، التى كادت تطمسه تقريبا ..

وبسرعة غادرت الشرفة ، وانحنيت أتطلع إلى الأثر ..

لقد كان بقايا أثر قدم ضفدع بشرى ، بتلك الأطراف الحادة ، المتصل بعضها ببعض بوصلات قوسية صغيرة ، أشبه بقدم ضفدع ..

ودون أن أطيل النظر ، عدت إلى الشرفة ، واتخذت مجلسى كالسابق ، حتى عاد (حسن) بقدح الشاى ، فسألته متظاهرا باللامبالاة :

— ألا يبدو لك هذا المكان مناسبا لرياضة الغوص ؟

هز كتفيه ، قائلا :

— ليس تماما .

قلت وأنا أرتشف رشفة من قدح الشاى :

— لو أننى خبير سياحى ، لأحضرت العشرات من الضفادع البشرية هنا .

قال فى بساطة :

— سيدهش مرآهم السكان كثيرا .

كان هذا ما أرمى إليه بالضبط ، لأسأله :

— ألا يرون الضفادع البشرية هنا أبدا ؟

هز رأسه نفيا ، وقال :

— هذا الشاطىء رملى تماما ، وهواة الغوص يفضلون الشواطىء الصخرية .

سألته فى اهتمام :

— وماذا عنك ؟.. إنك تهوى الغوص .. ألم يرك السكان أبدا فى حذاء غوص ؟

هز رأسه نفيا مرة أخرى ، وقال :

— مطلقا ، فلست أرتديه أبدا .. إننى حتى لا أملك واحدا ، بل أحب السباحة هكذا .

ملأنى التوتر مرة أخرى ، ورحت أبحث عن تفسير آخر لأثر قدم الضفدع البشرى على رمال الشاطىء ..

صحيح أننى لم أر الأثر كاملا ، ولكننى واثق من طبيعته تماما ..

إنه حتما أثر قدم ضفدع بشرى ..

وفجأة جال بخاطرى احتمال مخيف ..

ماذا لو أنها آثار قدم واحد من مهربى المخدرات ، الذين يتسللون إلى شواطئنا تحت الماء ؟..

وجذب الاحتمال احتمالا آخر ..

هل يعمل (حسن) فى مجال تهريب المخدرات ؟..

ولم أجد الجواب هذه المرة أيضا ..

وتضاعفت حيرتى ..

* * *

٣ ــ الأعماق ..

فى هذه الليلة ايضا نمت نوما عميقا للغاية ..

لست ادرى ما الذى اصابنى هنا ؟.. إننى اقضى نهارى كله فى مراقبة (حسن) ، وهو يغوص فى مياه البحر كل ثلاث او اربع ساعات ، واعصر عقلى بحثا عن تفسير مقنع لكل ما يحيط به من غموض ..

لتوتره ولهفته وقلقه وحيرته ..

وفى هذا الصباح ايضا شعرت بصداع شديد ، ولكن (حسن) كان فى العشة ، يجلس فى شرفتها متطلعا إلى البحر بتلك النظرة الغامضة ، وشعره المبتل يؤكد انه قد عاد منه على التو ، فجلست امامه ، وقلت فى هدوء :

ــ صباح الخير يا (حسن) .

اجابنى دون ان يدير عينيه عن البحر :

ــ صباح الخير .

سألته مشيرا إلى شعره المبتل :

ــ قل لى : أتسبح طيلة الوقت ؟

اجاب فى اقتضاب :

ــ تقريبا .

كان هناك سر يربطه بالبحر ، ويدفعه إلى السباحة والغوص لاطول فترة ممكنة بالتاكيد ..

ولقد عقدت العزم على كشف هذا السر ..

مهما كان الثمن ..

وفى ذلك اليوم ، وفى إطار الخطة التى وضعتها ، لم القى عليه اية اسئلة ..

بل لم ابد ادنى اهتمام به ، وتظاهرت بالانهماك فى إصلاح عطب وهمى فى سيارتى ، حتى ذهب هو إلى البحر مرة اخرى ، فى الثانية ظهرا ..

وعندئذ اسرعت إلى حجرته ..

كنت واثقا من ان صوانه يحوى سرا آخر ، بخلاف ذلك التمثال المبهر ؛ لذا فقد فتشت ثيابه ، التى تركها خلفه ، عندما ذهب يسبح ، حتى عثرت على مفتاح الصوان ، وعلى الرغم مما ينطوى عليه هذا العمل من خسة ، إلا اننى فتحت الصوان بلا تردد ، وتطلعت فى دهشة إلى سمكة صغيرة من الفضة ، مطعمة بعينين من العقيق ، وقشور من البلاتين ، وقد استقرت إلى جوار تمثال الشعب المرجانية الذهبى ، وتساءلت متى احضر (حسن) تلك التحفة الجديدة ، ثم لم البث ان قفزت بذهنى إلى استنتاج عجيب ..

لم لا يكون (حسن) قد كشف كنزا ؟..

كان هذا يفسر تكتمه الشديد ، وتوتره ، فللمال شهوته وبريقه ..

ويفسر ايضا سباحته وغوصه لفترات طويلة ، فلا ريب انه يبحث عن المزيد من التحف الثمينة ، والكنوز التى لا تقدر بمال ..

نعم ..

هذا هو الاستنتاج الحق ..

لقد كشف (حسن) كنزا ..

ارتاحت نفسى لهذا الاستنتاج ، على الرغم من انه لم يفسر لى شحوبه وذبوله ، ولا تلك النظرة التى تحمل آلاف المعانى ، والتى يتطلع بها دوما إلى البحر ..

ولكنه كان تفسيرا كافيا ليصمت شيطان القلق فى اعماقى ..

إنه دارس لعلم طبقات الأرض ، على الرغم من عدم اشتغاله به ، ولا ريب انه قد عثر بواسطته على كنز ما ، ولكنه يحب الاحتفاظ به لنفسه ..

وفجأة ، انهدمت نظريتى راسا على عقب ..

انهدمت عندما وقع بصرى على سمكة صغيرة محنطة ..

لم تكن من الذهب او البلاتين ، وإنما كانت سمكة محنطة تحنيطا بسيطا ، كالذى يقوم به بعض باعة البحر الأحمر ، عندما يجففون الأسماك ، ويطلونها بطلاء يحفظ انسجتها من التلف ، ثم يصنعون منها عدة اشياء منزلية طريفة ..

ولكن بالنسبة لرجل درس علم الحيوان مثلى ، كانت السمكة مذهلة بحق ..

لم تكن واحدة من الأسماك التى درستها فى عمرى كله ، ولا حتى التى بالفها اى شخص عادى .

لقد كانت سمكة فى كل شىء ، إلا بالنسبة لزعانفها الجانبية ، التى تحورت إلى ما يشبه ذراعى ضفدعة ،

ذات اصابع خمس ، واغشية رقيقة تربط بينها ..

لقد كانت حلقة من حلقات سلسلة التطور ، التى تحدث عنها (داروين) ..

وبينما رحت ادير السمكة لتامل جوانبها فى انبهار ، راح عقلى يضع تفسيرا جديدا ..

إنه لم يعثر على كنز مادى فحسب ، وإنما على كشف علمى هائل ..

هذا ما يؤكده وجود السمكة ..

ولكن مهلا ..

ينبغى ان اعيد كل شىء إلى ما كان عليه ، فلقد حان موعد عودة (حسن) من البحر ..

اسرعت ارتب كل شىء كما كان ، وعندما اعدت السمكة إلى موضعها ، انزلق منديل صغير من موضعه خلفها ، وسقطت من خلفه قنينة عجيبة الشكل ، تحوى سائلا اخضر اللون ..

وفى دهشة ، تناولت القنينة ، ورحت اتامل محتوياتها فى حيرة ..

كان ذلك السائل يبدو للوهلة الأولى رائقا شفافا ، إلا انك لا تلبث ان تنتبه إلى وجود ذرات صغيرة تسبح داخله بلا توقف ، حتى لو وضعته ثابتا ..

وكان ملمس القنينة يبعث فى النفس شعورا عجيبا ..

وبلا وعى ، وبدافع من فضول بلغ ذروته ، ازحت غطاء القنينة ، ورفعتها إلى انفى ، لأشم رائحة ذلك السائل الأخضر العجيب ، الذى اضيف إلى الصورة ، ليجعل من الأمر كله لغزا محيرا غامضا ..

وفى حذر ، لمست السائل بطرف لسانى ، ولما بدا لى مذاقه حلوا ، ارتشفت منه رشفة صغيرة ، ثم أعدت الغطاء والقنينة إلى موضعهما ، وانا أتساءل عن كنه هذا السائل ..

وعدت إلى الشرفة ، متوقعا عودة (حسن) ، ولكن المكان بدا لى خاليا تماما ، حتى البحر ، لم يكن به أثر (حسن) ..

وانتظرت هذه المرة ..

ومضت الدقائق كالدهور ، وانا ابحث بعينى عن (حسن) .

ثم ظهر (حسن) فجاة على السطح ، وراح يسبح نحو الشاطىء ، ثم اتجه إلى العشة ، وقال :

ـ كيف حالك يا (فتحى) ؟.. هل تشعر بالملل هنا ؟

لوحت بكفى ، وانا اقول مبتسما :

ـ مطلقا .

تطلع إلى طويلا ، وكانما يحاول سبر اغوارى ، قبل ان يسالنى فى هدوء :

ـ ماذا تحب ان تتناول فى العشاء ؟

قلت متظاهرا باللامبالاة :

ـ سمك مشوى . لو ان هذا متيسر .

أجابنى فى حدة مفاجئة :

ـ لا .. لا اسماك .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا ؟.. لقد كنت تعشق الأسماك المشوية فيما مضى .

أجابنى فى صرامة :

ـ ليس الآن .

ثم أشاح بوجهه إلى البحر ، مستطردا فى حزم :

ـ من حق الاسماك ان تحيا .

كان منطقا يثير الدهشة ، حتى اننى قلت معترضا :

ـ ولكن الله (سبحانه وتعالى) منحنا حق صيد البحر ، و ...

قاطعنى فى حدة حاسمة :

ـ قلت لا اسماك .

لوحت بكفى ، وانا انوى موافقته تأدبا ، ولكن فجاة حدث امر عجيب ..

فجاة شعرت وكان الحجرة كلها قد خلت من الهواء ..

واننى اختنق ..

وعلى الفور قفز ذهنى إلى ذلك السائل الاخضر العجيب .

واحتقن وجهى بزرقة مخيفة ، وسقطت على ركبتى ارضا ، وانا ارفع كفى إلى (حسن) ، هاتفا فى ضراعة :

ـ انقذنى .. إننى اموت .. إننى اختنق ..

ثم لم اعد اشعر بشىء .

* * *

٤ ــ فى ضوء القمر ..

لم ادر ما الذى اصابنى ، ولا كم من الوقت لبثت فاقد الوعى ، ولكننى عندما استعدت إدراكى حولى ، كنت راقدا على اريكة صغيرة ، فى ردهة العشة ، وكان (حسن) يقف امام نافذتها الضخمة ، متطلعا إلى البحر ، وقد ترك العشة كلها مظلمة ، إلا من ضوء القمر المكتمل بدرا ، والذى غمر الردهة بضوئه الفضى الساحر .. وعلى ضوء القمر ، رأيت وجها جديدا لـ (حسن) ..

كان يقف صامتا ساكنا ، وقد عقد كفيه خلف ظهره ، وبدت ملامحه شديدة الصرامة والقوة ، وعيناه تحملان غضبا مكتوما ..

وعلى الرغم من شحوبه ، بدا لى الليلة رهيبا مخيفا ، ولم أكد اصدر صوتا ينبىء عن استعادتى الوعى ، حتى ادار عينيه إلى ، وقال فى غضب وصرامة :

ــ الم اطلب منك عدم العبث باشيائى ؟

قلت فى ارتباك :

ــ صدقنى .. انا لم ..

قاطعنى بصوت كالهدير :

ــ كاذب ..

ثم اندفع نحوى ، وجذبنى من ياقة سترتى ، مستطردا فى ثورة :

ــ انت لا تدرك باى شىء تعبث .. ولن تفهم ابدا ماذا تواجه .. اترك كل شىء .. لا تدس انفك فيما لا يعنيك .

ودفعنى فى عنف ، ليعيدنى إلى الأريكة ، دون ان انبس ببنت شفة ، وبدت لى عيناه مخيفتين ، وهو يقول فى صرامة وحزم :

ــ ارحل .

هتفت مشدوها :

ــ ارحل ؟!.. هل تطردنى يا (حسن) ؟

اشاح بوجهه عنى ، وهو يقول :

ــ هذا افضل .. ارحل من هنا ، قبل ان ...

صمت وهلة ، ثم اضاف فى مرارة :

ــ قبل ان تفعل مثلى .

سألته مبهوتا :

ــ وماذا فعلت انت ؟

لم يجب ..

فقط راح يتطلع إلى قرص القمر المكتمل طويلا ، قبل ان يلتفت إلى ، قائلا فى حزم ، وبلهجة لا تقبل نقاشا :

ــ سأعد لك قدحا من الشاى .

لم يترك لى فرصة المناقشة او الاعتراض ، بل اتجه على الفور إلى المطبخ ليعد الشاى .

وفى صمت وحذر ، غادرت الأريكة ، وتسللت على اطراف اصابعى ، اختلس النظر إليه ، وهو يعد الشاى ، وقد خامرتنى فكرة مخيفة ..

وكانت شكوكى هذه المرة فى محلها ..

لقد انتهى (حسن) من إعداد الشاى ، ثم اضاف إليه قطرات من سائل وردى ..

هذا إذن هو سر النوم العميق ، الذى اسقط فيه كل ليلة ..

إنه يخدرنى ..

إنه يبعدنى عن أمر ما ..

وبسرعة ، عدت إلى الأريكة ، واستلقيت فوقها ، حتى عاد يحمل قدح الشاى ، وقدمه إلى قائلا فى حزم :

ـ اشرب .

حملت القدح ، ونهضت من الأريكة ، قائلا :

ـ الأفضل ان اتناوله فى حجرتى ، فما زال راسى يدور .

غمغم وهو يتطلع إلى القمر :

ـ هذا افضل .

ذهبت بالقدح إلى حجرتى ، ثم اسرعت افرغه عبر نافذتها فوق الرمال ، واستلقيت على فراشى ، وسبلت عينى متظاهرا بالنوم ، وإن راح عقلى يلقى عشرات الأسئلة ..

ما سر كل هذا ؟..

ما طبيعة ذلك السائل الأخضر العجيب ، وما الذى فعله بى ؟..

من اين حصل (حسن) على هذه التحف النادرة ؟..

لماذا يتطلع دوما إلى البحر ؟..

انتزعنى من افكارى صوت باب حجرتى يفتح ، وشعرت بـ (حسن) يدلف إليها ، ويتوقف لحظات عند طرف فراشى ..

كان من الواضح انه يتاكد من نومى ، قبل ان يبدا ذلك العمل الذى يخدرنى من اجله يوميا ..

وفى هدوء ، غادر (حسن) حجرتى ، واغلق بابها خلفه ، فقفزت من الفراش ، وحمدت الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن النصف العلوى من جدران العشة مصنوع من البوص ، مما يؤهلنى لرؤية ما يفعله (حسن) فى حجرته ، دون ان يشعر هو بى ..

وعبر اعواد البوص ، رايت (حسن) يقف أمام صوانه الخاص ، ويتناول منه تلك القنينة العجيبة ، ليجرع منها بعض السائل الأخضر ، ثم ينتزع ثيابه كلها ، إلا من ثوب بحر صغير ..

ثم غادر (حسن) العشة ، وسار على رمال الشاطىء فى بطء ، وعيناه متعلقتان بالأمواج التى ترتطم بالشاطىء ..

وعلى ضوء القمر ، شاهدته يقف على الشاطىء صامتا ، يتطلع إلى البحر كتمثال من الملح ..

ثم فجأة ، خيل إلى ان سطح الماء يتوتر فى بقعة ما ، ثم لم يلبث هذا الخيال ان تحول إلى حقيقة ، وبرز شىء ما من تحت الماء ..

واتسعت عيناى فى ذهول ..

لقد كانت معجزة ..

أو هى لعنة ..

لعنة البحر ..

* * *

٥ ـ السحر ..

لم أصدق عيناى فى البداية ، بل خيل إلى اننى احلم ، او ان احلام صباى وشبابى كلها قد تجمعت فى صورة رائعة مذهلة ..

لقد كان ذلك الشىء ، الذى خرج من الماء امراة ..

نعم .. امراة هى أروع واجمل ما رايت فى عمرى كله ..

بل أروع حتى مما وصف الشعراء المراة ..

كانت كتلة من الفتنة والسحر ..

قوام متناسق بديع التكوين ، هو اية فى الجمال والفتنة ..

ووجه حورية من حوريات الجنة ، بفم اشهى من فاكهة طازجة ، نبتت قبل موسمها ، وبعينين هما كل سحر البحر وغموضه ، فيهما مطلع القمر وشروق الشمس ، وشعر أخضر ناعم ينسدل على كتفين لهما استدارة ساحرة ..

كل شىء فيها كان ساحرا ، فاتنا ، طاغيا ..

كانت امراة اروع من كل نساء الأرض ..

وبين أصابع كفيها ، لمحت على ضوء القمر ذلك الغشاء الرقيق ، الذى يشبه زحفات العوم عند بعض الطيور ، وعندما نقلت بصرى إلى قدميها ، رأيت قدما اشبه بحذاء ضفدع بشرى ..

وكانت فاتنة البحر هذه ترتدى ثوبا يلتصق بجسدها ، من عنقها إلى ركبتيها ، ويلتمع ببريق ذهب خالص ..

وكان (حسن) يتجه إليها كالمأخوذ ..

وفى نعومة مذهلة ، رفعت الفاتنة كفيها إلى (حسن) ، فالتقطهما فى راحتيه فى لهفة وحب ، وراح الاثنان يتطلع احدهما إلى الآخر لحظات فى هيام ، ثم ارتسمت على الشفتين الطازجتين ابتسامة ، وتشابكت الكفان ، واتجه (حسن) مع الفاتنة إلى البحر ، وغاصا ..

ظللت احدق فى الشاطىء كالمأخوذ ، والوقت يمضى بطيئا ثقيلا ، حتى انتفض جسدى بغتة ، كما لو اننى افيق من غيبوبة ..

بل من نشوة عارمة ..

الآن فهمت ..

الآن ازددت حيرة ..

فهمت لماذا كان (حسن) يعمد إلى تحذيرى فى كل ليلة ..

فهمت سر اللهفة والترقب فى عينيه ..

فهمت سر تطلعه الدائم إلى البحر ..

وازددت حيرة بشان قدرته على البقاء تحت الماء طويلا ..

كيف لم انتبه إلى هذا فى حينه ؟!

لقد قضى ، فى اليوم التالى لوصولى ، خمس دقائق كاملة تحت الماء .. ومن يمكنه ان يحبس انفاسه كل هذا الوقت ؟!..

ثم لمـــاذا يختلط الترقب واللهفة فى عينية بالتوتر والقلق والخوف ؟..

وما سر تلك الساحرة ؟..

عشرات التساؤلات مـــلأت رأسى ، حتى بعـــد ان رايت ما رايت ..

بل إن ما رايته هو السر فى تزايد الأسئلة وتزاحمها ..

وفى شرفة العشة ، اتخذت مقعدا يخفيه سور الشرفة عن الأنظار ، ورحت انتظر ..

ومع شروق الشمس ، صعد الاثنان من تحت المـــاء ..

ورايت الفاتنة اكثر وضوحا فى ضوء الشمس ..

كانت اكثر من رائعة ..

كانت فتنـــة تمشى على قدمين ، وسحرا ينبض بعـــروق الحياة ..

وملأ كل منهما عينيه بصورة الآخر ، ثم ابتسمت فاتنـــة البحر ، وجذبت يدها من اصابع (حسن) فى رفق ، وعادت إلى المـــاء ..

فى تلك اللحظة بدا (حسن) أشبه برجل تفارقه حياته ، وهو يتابعهـــا ببصره فى حـــزن ومرارة ، حتى اختفت تحت سطح المـــاء ..

والواقع اننى ايضا شعرت بالمرارة والحزن ..

لقد حسدت (حسن) لحظتها ..

حسدته ؛ لأنه اســـتطاع أن يمضى الكثير من الوقت مع ملكة السحر نفسها ..

وتمنيت لحظتها لو اقترب منها ..

لو اتطلع إلى عينيها الساحرتين !!.
لو التهم شفتيها !!.

وجلست فى مقعدى صامتا ، حتى بلغ (حسن) الشرفة ، فتسمر مشدوها ، وتطلع إلى ماخوذا ..

وفى خفوت ، تمتمت :

— لقد رايت كل شىء .

ظل يحدق فى وجهى لحظات ، فاضفت :

— وفهمت كل شىء .

اطرق بوجهه ارضا ، وغمغم فى مرارة :

— كنت اعلم ان هذا سيحدث ، إن عاجلا او آجلا .

غمغمت فى خفوت ، وكان كلينا يخشى رفع صوته ، حتى لا يسىء إلى الموقف :

— لمـــاذا لم تخبرنى ؟

هز راسه ، وقال :

— كان من المستحيل ان يصدقنى احد .. حتى انت .

قلت مؤمنا :

— صدقت .. الأمر اعجب من ان اصدقه ، على الرغم من رؤيتى له بنفسى .

تنهد فى عمق ، وقال :

— حسنا .. ساخبرك بالسر .

ورفع عينيه إلى ، وهو يستطرد مستسلما :

— بالسر كله ..

* * *

٦ — السـر ..

كان يتطلع إلى البحر بنفس النظرة ، التى تحمل مختلف الاحاسيس والمشاعر ، وهو يقول :

— الأمر يبدو اشبه بالاساطير ، حتى اننى انا نفسى اعجز احيانا عن تصديقه ، ويبدو لى كانه حلم طويـــل عميق ، لم استيقظ منه بعد .. لقد بدا الأمر منذ اسبوعين فحسب ، فى ليلة غاب فيها القمر تماما ، وبدا الليل عميقا صامتا رهيبا .. وفى مثل تلك الليـــالى ، يحلو لى الجلوس على الشاطىء فى الظـــلام ، تاركا الأمواج تعبث بقدمى وتداعبهما .. وبينمـــا استرخى جسدى مع الليل والبحر ، ورتابة الأمواج ، وراحت قصائد الشعر تولد فى خيالى ، تناهى إلى مسامعى فجاة تاوه انثوى مكتوم ..

صمت لحظة ، وشرد ببصره مغمغما :

— ورايتها .

صمت لحظة اخرى، وكانما هذه الكلمة وحدها قد ارهقته ، بكل ما حملته إليه من مشاعر وذكريات ومعان ، قبل ان يتابع :

— كانت جريحة ، القى بها الموج إلى الشاطىء ، وكانت ضـــعيفة ، واهنة ، فاتنة ، حتى اننى لم املك نفسى امـــام سحرها ، فاسرعت احملها إلى عشتى ، وانا اتصور انهـــا واحدة من راكبات السفن ، سقطت فى البحـــر ، وحملتهـــا الأمواج إلى الشاطىء .

تنهد فى عمق ، مع استعادته للذكرى ، واستطرد :

— وفى العشة فوجئت بالزعانف بين اصابع يديها ، وبقدميها الشبيهتين بقدمى ضفدع بشرى ، وشعرها الأخضر الناعم ، ولكننى داويت جراحها ، محاولا تجاهل كل هذا ، لولا أن احتقن وجهها فجاة فى زرقة ، واشارت إلى البحر فى هلع .. ولم اكن احتاج إلى الكثير من الذكاء ، لأدرك ما الذى تعنيه .. لقد كانت مخلوقا بحريا ، وليست واحدة من البشر مثلنا .. وكانت تحتاج إلى الماء ، أو تختنق .. وبسرعة حملتها إلى البحر ، وبسرعة ايضا استعادت قوتها ووعيها ، وابتسمت أجمل ابتسامة رايتها فى حياتى ، وهى تقول فى رقة بالغة :

— اشكرك .

هتفت فى دهشة :

— أهى تتحدث لغتنا العربية ؟

هز راسه نفيا ، وقال :

— هذا ما تصورته لحظتها ، لولا ان انتبهت إلى انها لم تفتح شفتيها ، وأننى لم اسمع تلك الكلمة باذنى ، وإنما بعقلى .. لقد كانت تستخدم اسلوب التخاطر العقلى ، وتجيده فى مهارة ، ولقد علمتنى إياه فى يوم واحد .

تنهد مرة أخرى ، وقال :

— واحببتها .

لم انبس ببنت شفة ، عندما صمت طويلا بعد هذه الكلمة ، وتركته يسترجع لحظات سعادته وحبه ، قبل ان يتابع :

— لم اعد اطيق صبرا على حبها ، وصارحتها بالأمر ، ولكنها واجهتنى بحقيقة مذهلة ، الا وهى ان احدنا لا يستطيع العيش فى عالم الآخر ، فهى برمائية ، وانا برى .. هى تحيا فى الماء ، وانا على الأرض .. وآلمنى ذلك للغاية ، واهدتنى هى ذلك التمثال للشعاب المرجانية ، فى محاولة لاتسرية عنى ، إلا اننى لم اشعر بالارتياح ، ولم يهدأ بالى ، حتى صارحتها يوما بأننى مستعد للزواج منها ، مهما كانت التضحيات ..

شرد بصره ، وهو يتابع :

— وغابت ثلاثة ايام كاملة ، ثم عادت تحمل إلى قنينة الدواء العجيبة ، التى عبثت انت بها ، واخبرتنى انه من المستحيل تحويل البرمائية إلى برية ، ولكن هناك عقار كشفه احد علمائهم ، يمكنه تحويل البرى إلى برمائى ، واخبرتنى انه إذا ما كنت اريد البقاء معها حقا ، فلابد لى من المخاطرة بالتحول إلى واحد من بنى قومها .

صمت لحظات ، ثم استطرد فى مرارة :

— ورحت اتناول العقار فى انتظام ، وفى كل مرة اتناوله ، تزداد قدرتى على البقاء تحت الماء ، ونحن نلهو ونلعب ونمرح معا ، وهى تحضر لى الهدية تلو الأخرى ، من تحف مملكة البحار ، التى يحكمها والدها ، حتى امكننى أن اقضى الليلة ست ساعات معها تحت الماء ، ويقول علماؤها إن هذا يؤهلنى للزواج منها .

غمغمت :

— متى ؟

طال صمته هذه المرة ، قبل ان يقول فى همس :

— الليلة .

هتفت فى مزيج من الدهشة والجزع والاستنكار :

— الليلة ؟!

أومأ برأسه إيجابا ، فهتفت به :

— ولكنك لا تدرك ابعاد ما تفعل يا (حسن) .. إن هذا يعنى انسلاخك تماما عن مجتمعك الارضى ، وعن كل من عرفتهم وما عرفته .. ارايت ماذا حدث لى ، عندما تناولت جرعة من العقار الأخضر .. لقد كدت اختنق ، وهذا دليل على اننا لا نصلح لمعيشتهم .. لم نخلق لذلك .

قال فى خفوت :

— لقد أصابنى ما اصابك فى المرة الأول ، ولهذا علمت ما حدث لك على الفور ، ولكننى لم البث ان اعتدت تناول العقار ، وتعلمت انه من الضرورى ان أغوص بعد تناوله مباشرة ، فى الشهور الأولى على الأقل ، وإلا فسأختنق .. تماما كسمكة اخرجتها من الماء .. وتماما مثلما حدث لك .. ثم إنك لم تر عالمها .. إنهم قوم متحضرون كثيرا ، وهم افضل منا بآلاف المرات ، فهم يتعايشون فى امن وسلام ، ويجندون كل علومهم للخير وحده ، حتى انهم يخشون كشف امرهم لنا ، حتى لا ننقل كل رذائلنا إليهم .. صحيح اننى اشعر

بالخوف والقلق لمفارقة عالمى ، ولكننى افعل هذا من اجلها .

قلت فى توتر :

— هذا لا يعنى ان تذهب معها .. دعها هى تاتى إليك .

تطلع إلى عينى مباشرة ، وقال :

— هل رايتها ؟

اجبته بالإيجاب ، فابتسم ابتسامة باهتة ، وقال :

— ماذا كنت ستفعل ، لو كنت مكانى ؟

اصابنى السؤال بحيرة طويلة ، قبل ان اجيب :

— كنت سأذهب معها ، ولو إلى الجحيم .

ربت على كتفى ، مغمغما :

— الآن عدنا نفكر بعقل واحد ..

وفى المساء ، لم يدس لى (حسن) المخدر فى قدح الشاى .. لقد تركنى انتظرها إلى جواره ، على شاطىء البحر ..

وأتت هى ..

ومن قريب ، رأيتها سحرا وفتنة ، وجمالا يفوق اهل الأرض جميعا ..

والعجيب انها لم تخف لوجودى ، ولم تجفل او تتراجع .. فقط منحتنى ابتسامة عذبة ، وتطلعت إلى (حسن) ، الذى احتوى كفها فى راحته ، واشار إلى قائلا :

— هذا (فتحى) .. صديقى .

اقسم إنه لم يفتح شفتيه ، ولم ينطق الجملة ..

ولكننى سمعتها ..

وابتسمت فاتنة البحر ابتسامة اكثر عذوبة ، وهى تقول، دون ان تفتح شفتيها :

ـ كل اصدقاء (حسن) اصدقائى .

التفت إلى (حسن)، وتطلع كلانا إلى الآخر فى صمت ، ثم امتدت ايدينا تتصافح فى قوة ، وترقرقت الدموع فى عينى، وانا اقول :

ـ لا تغب طويلا .. سانتظرك .

قال :

ـ سنزورك معا .. هنا .

واضافت الفاتنة بعقلها :

ـ وربما احضرت شقيقتى التوءم ..

هتفت مبهورا :

ـ حقـــا ؟!

بدا لى قولها بمثابة وعد ، وهى تمسك كف (حســـن) ، الذى لوح لى بكفه الاخرى ، قائلا :

ـ الوداع يا صديقى .. الوداع ..

وبين امواج البحر ، رايتهمـــا يختفيان ، حتى غابـــا عن الانظار ، فانحدرت دمعة على وجهى ، وتمتمت :

ـ وداعا يا (حسن) ..

وعندما عدت إلى شرفة المعشة ، كنت اشعر اننى لم افقد (حسن) تماما ، واننا سنلتقى كثيرا فيما بعد ..

ولقـــد قضيت ليلتى كلهـــا فى الشرفـــة ، حتى اشرقت الشمس ..

وفجاة ، اتخذت قرارى ، واتجهت إلى حجرة نوم (حسن) وفتحت دولابه ، واخرجت قنينة السائل الأخضر ، وارتشفت منها رشفة كبيرة ، ثم رحت اخلع ملابسى ..

لقد قال إنه من الضرورى أن يغوص المرء بعدها مباشرة ..

وفى لهفة ، رحت أعدو فوق رمال الشاطىء نحو البحر ..

إننى أســـير فى نفس الخطـــوات ، التى ســـار فيهـــا (حسن) ..

لقد أصابتنى اللعنة مثله ..

لعنة البحر ..

[تمت بحمد الله]

حلول اختبر معلوماتك

١ ـ ووترلو .
٢ ـ البؤساء .
٣ ـ ستة كيلومترات / ساعة .
٤ ـ سالبة .
٥ ـ نيل أرمسترونج .
٦ ـ الولادة .
٧ ـ طرزان .
٨ ـ توفيق الحكيم .
٩ ـ أوزيريس .
١٠ ـ العقاد .
١١ ـ توماس أديسون .
١٢ ـ ١٧٩٨م .
١٣ ـ مصطفى كامل .
١٤ ـ نمساوى .
١٥ ـ چولى فيرن .
١٦ ـ نهاد شريف .
١٧ ـ شكسبير .
١٨ ـ جراهام بل .
١٩ ـ أرايوس .
٢٠ ـ نوسترداموس .

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠٠

باقة من القصص والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

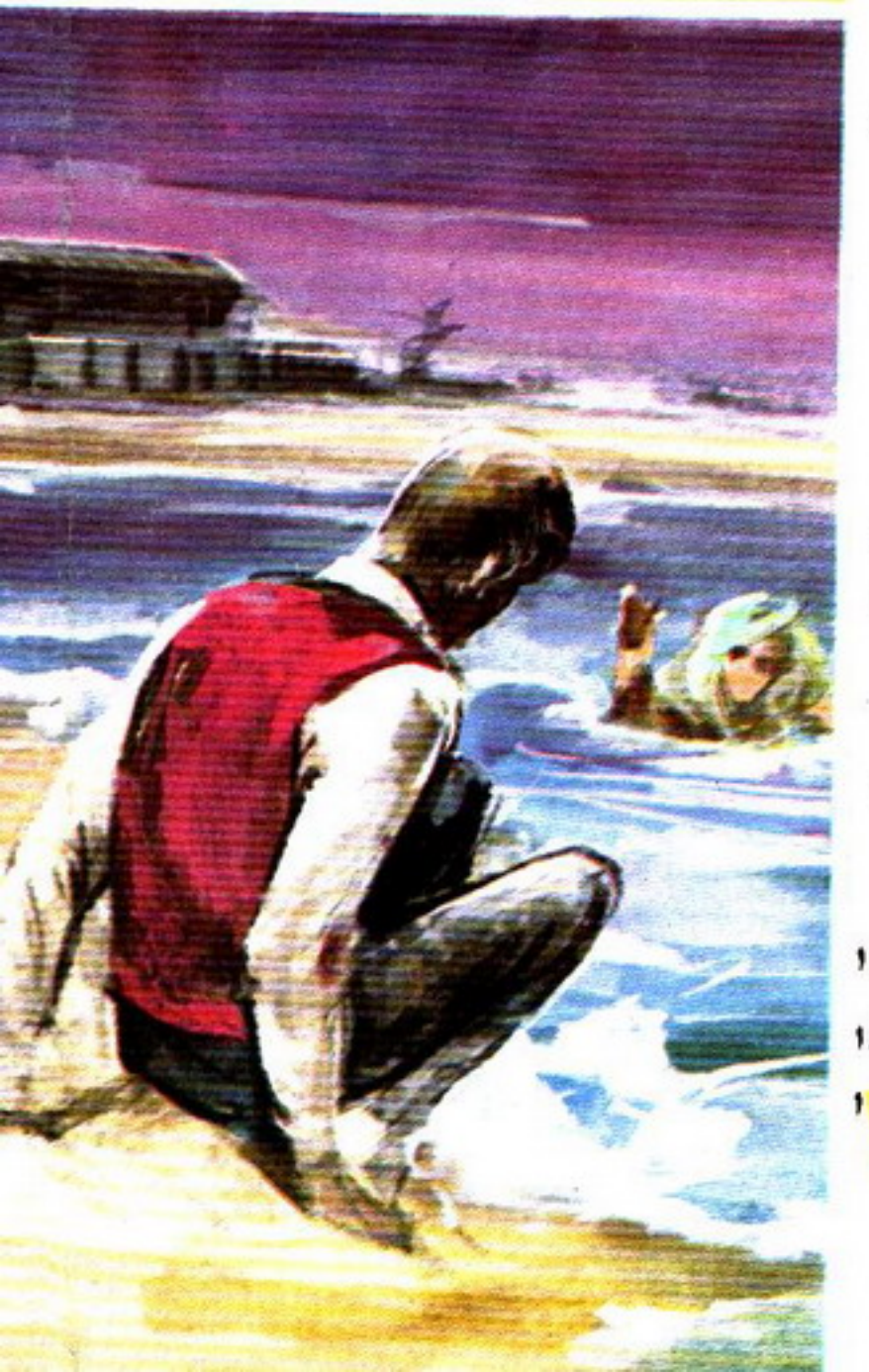

فى هذا العدد

صفحة

- القانون (قصة قصيرة) .. ٥
- القوة (قصة قصيرة)..... ١٠
- اختبر معلوماتك.......... ١٣

أرزاق

- رواية اجتماعية طويلة . ١٧
- الانتظار (قصة قصيرة)... ٦٤
- لعبة كبار (قصة قصيرة) . ٦٦

العقرب سلسلة جديدة

ملك الجريمة ٦٩

قصة العدد

لعنة البحر ١٥١

- عزيزى القارىء ١٨٨
- حلول اختبر معلوما[ت] ... ١

الثمن فى مصر
وما يعادله بالدولار
فى سائر الدول العربية والعالم